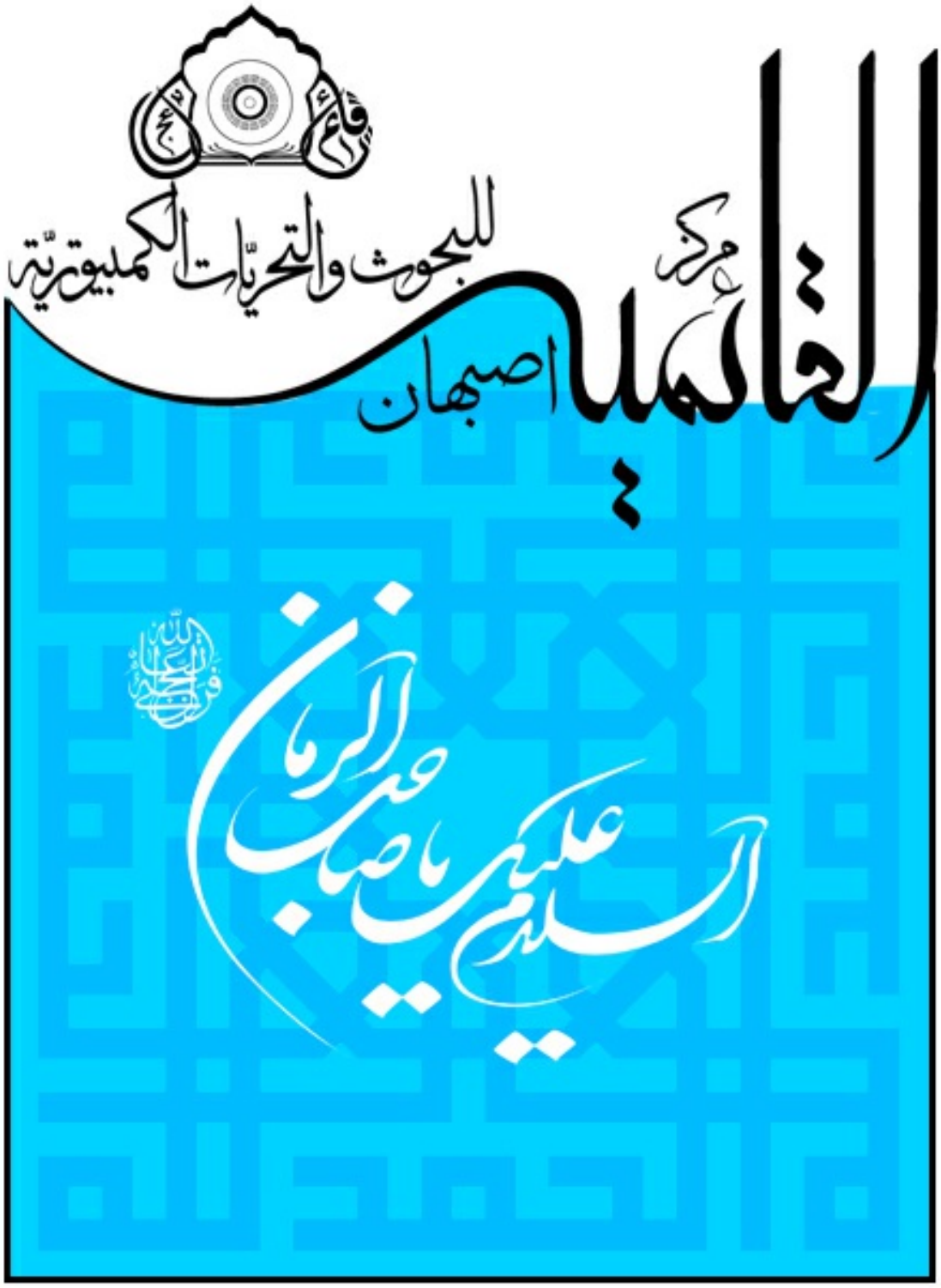

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

جلال الدين السيوطي
ترتيب سور القرآن
دراسة . تحقيق وتعليق
الدكتور السيد الجميلي

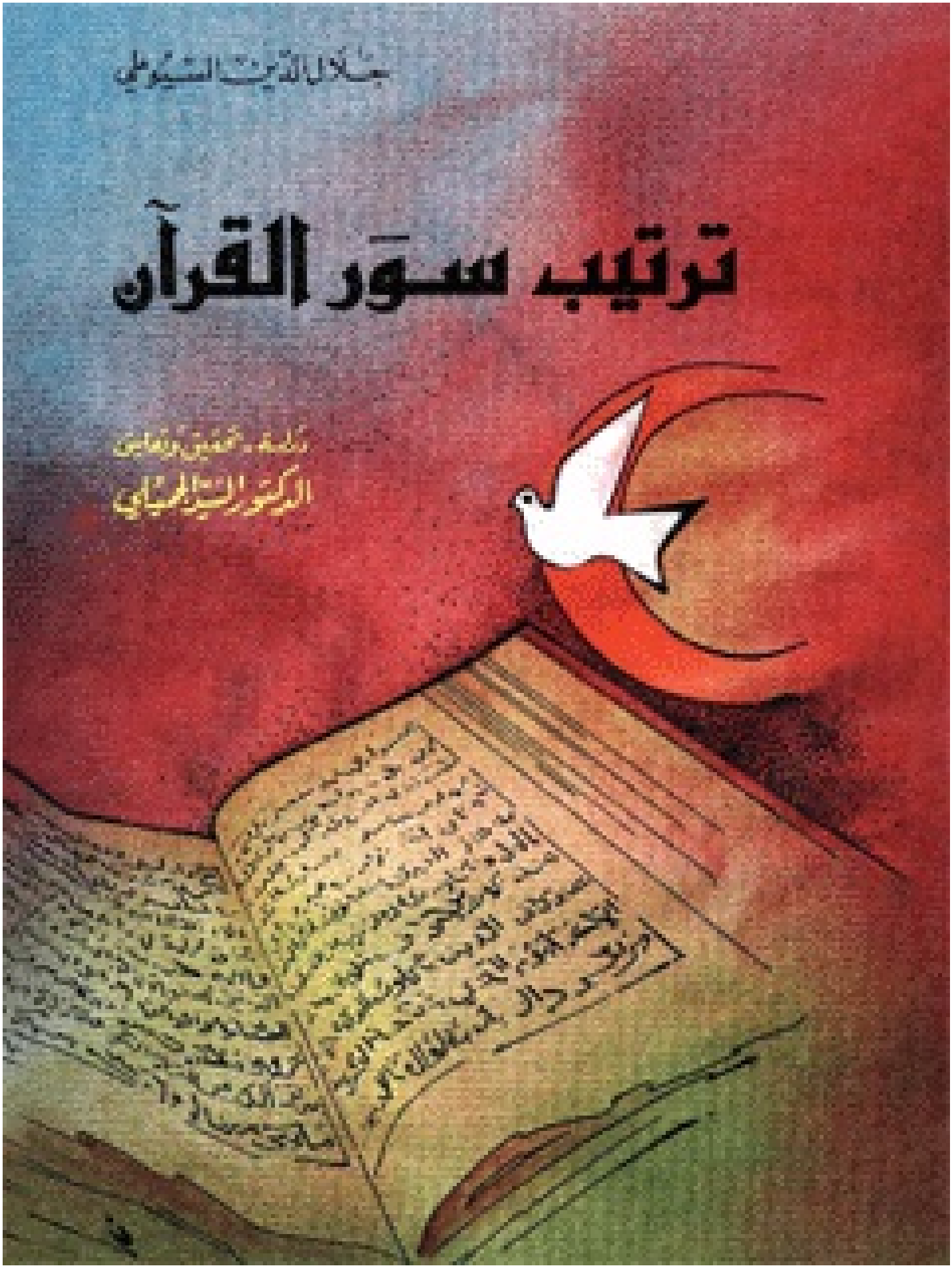

بسم الله الرحمن الرحیم

ترتیب سور القرآن

كاتب:

جلال الدين عبدالرحمن بن ابى بكر سيوطى

نشرت في الطباعة:

دار و مكتبة الهلال

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

ترتيب سور القرآن 10

هوية الكتاب 10

اشارة 10

الإهداء 14

المقدّمة 16

ترجمة الإمام جلال الدين السيوطى 28

بين يدى هذا الكتاب و عملنا فيه 32

[توضيح] 34

تمهيد 38

اشارة 38

فى ترتيب السور 40

«سورة الفاتحة» 46

سورة البقرة 49

سورة آل عمران 57

سورة النساء 64

سورة المائدة 69

سورة الأنعام 73

سورة الأعراف 77

سورة الأنفال 79

سورة براءة 83

سورة يونس 84

سورة هود 85

سورة يوسف 86
سورة الرعد 87
سورة إبراهيم 88
سورة الحجر 89
سورة النحل 91
سورة بنى اسرائيل 93
سورة الكهف 94
سورة مريم 96
سورة طه 97
سورة الأنبياء 99
سورة الحج 100
سورة المؤمنون 101
سورة النور 102
سورة الفرقان 103
سورة الشعراء 105
سورة النمل 106
سورة القصص 107
سورة العنكبوت 109
سورة الروم 110
سورة لقمان 111
سورة السجدة 112
سورة الأحزاب 113
سورة سبأ 114
سورة فاطر 115
سورة يس 116

سورة الصافات 117
سورة ص 118
سورة الزمر 119
سورة غافر 120
سورة القتال 122
سورة الفتح 123
سورة الحجرات 124
سورة الذاريات 125
سورة الطور 126
سورة النجم 127
سورة القمر 128
سورة الرحمن 129
سورة الواقعة 130
سورة الحديد 131
سورة المجادلة 132
سورة الحشر 133
سورة الممتحنة 134
سورة الصف 135
سورة الجمعة 136
سورة المنافقون 137
سورة التغابن 138
سورة الطلاق 139
سورة التحريم 140
سورة تبارک 141
سورة ن 142

سورة الحاقة 143
سورة سأل 144
سورة نوح 145
سورة الجن 146
سورة المزمل 147
سورة المدثر 148
سورة القيامة 149
سورة الانسان 150
سورة المرسلات 151
سورة عم 152
سورة عبس 153
سورة التكوير 154
سورة الانفطار 155
سورة المطففين 156
سورة الانشقاق 158
سورتا البروج و الطارق 159
سورة الأعلى 160
سورة الغاشية 161
سورة الفجر 162
سورة البلد 163
سور:الشمس و الليل و الضحى 164
سورة أ لم نشرح 166
سورة التين 167
سورة العلق 169
سورة القدر 170

سورة لم يكن ---- 171
سورة الزلزلة ---- 172
سورة العاديات ---- 173
سورة القارعة ---- 174
سورة التكاثر ---- 175
سورة الفيل ---- 176
سورة قريش ---- 177
سورة الماعون ---- 178
سورة الكوثر ---- 179
سورة الكافرون ---- 180
سورة النصر ---- 181
سورة تبت ---- 182
سورة الاخلاص ---- 183
سورتا الفلق و الناس ---- 184
الفهرس ---- 191
تعريف مركز ---- 195

ترتیب سور القرآن

هویة الکتاب

اسم الکتاب: ترتیب سور القرآن

الکاتب: جلال الدین سیوطی

موضوع: ترتیب نزول

تاریخ وفاة المؤلف: 911 ق

لسان: العربیة

عدد المجلدات: 1

الناشر: دار و مکتبة الهلال

مکان الطباعة: بیروت

سنة الطباعة: 2000

نشرت: بی نا

ص: 1

اشارة

حقوق هذه الطبعة محفوظة

ومسجلة للناشر

الطبعة الأولى

١٩٨٦

دار ومكتبة الهلال

بيروت – حارة حريك – شارع المقداد

ص . ب : ١٥/٥٠٠٣

ص: 2

ترتيب سور القرآن

ص: 3

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 4

الإهداء

إلى النمير الصافی،و الجدول الرقراق،و الفرات العذب،و المورد السخی،و المنهل الطیب،و الروض الممرع الخصیب الذی أعطی أطیب الثمار،و التی لا نزال نجنی غراسها حتی الآن...

لم تلن قناته،و لم تتضعضع عزیمته،فلم یجفل إزاء المحن،و لم ینکفئ أمام الطوفان.

من دنیا الفناء إلی دار البقاء الأبدی...إلی الإمام جلال الدین السیوطی فی برزخه...أسأل اللّه أن یتغمده برحمة منه و فضل و یسکنه جنات النعیم فی دار المقامة لقاء ما أثری الفکر الإسلامی.

السید الجمیلی

المقدّمة

إن الحمد للّه و الصلاة و السلام على رسول اللّه...و بعد، أراد اللّه سبحانه و تعالى أن ينتشل بالإسلام البشرية من غيابات الجهالة،و من ظلمات التردى و من غياهب الوثنية التى طغى قتامها على العقول،و خيم على الأفهام فكان مجتمع الجاهلية يرسف فى أغلال التخلف و عبادة الأصنام ناسيا أن الخير كل الخير إنما هو فى توحيد الخالق جل شأنه،و كان حريا بهم أن يعبدوا الحق جل شأنه على«الحنيفية السمحة» ملة إبراهيم حنيفا و ما كان من المشركين،نسأل اللّه أن يثبتنا عليها.

و قد أراد اللّه سبحانه و تعالى أن ينزل القرآن الكريم منجما على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لحكمة اقتضت ذلك،و إذا أراد اللّه شيئا لم يمنعه شىء،فلو أراد أن ينزله جملة واحدة ما ثناه أو عاقه عائق تعالى اللّه علوا كبيرا و لكن فى التنجيم فضلا و منة و حكمة شريفة و مقصدا كريما و هدفا أسمى،حيث أن التنجيم يجعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يتعلم كل يوم شيئا جديدا،فيزيده تثبيتا و ثقة و اطمئنانا،كما أن ذلک يوافق استيعاب الصحابة إذ يربيهم على منهج اللّه و يشيع بينهم فضائل و خلق الإسلام،و يجيب عن أسئلتهم و استفساراتهم فلا يفاجئون بتشريعاته،فكان لا بد أن ينزل مفرقا منجما حسب الحاجة و الضرورة.

و قد تقرب الصورة إلى الأذهان إذا قسناها بمسألة الحمل و الولادة فإننا نعلم أن الجنين يكبر فى بطن أمه رويدا رويدا و يمر بأطوار عديدة حتى

يكتمل نموه فى أحشائها تـدريجيا،و رغم ذلک فإنها تعانى ما تعانيه من آلام الحمل لا سـيما للمرة الأولى،إذ أن نطفـة الجنين غريبة عنها و كل غريب تلفظه بنية الإنسان و تكوينه و جبلته.

و لا أحد يتصور حال المرأة لو جاءها الحمل بجنين كامل التكوين مرة واحدة،و لا ريب أن ذلک مما يتعارض مع الفطرة البشرية و الطبيعة و الناموس الكونى.

و قد جاء الإسلام بمنهج حياة و عقيدة و عمل،من عبادات و معاملات و غيره،و لا بد لاتباع هذا المنهج من نبذ العادات الجاهلية الأولى،و الكف عن الشهوات و الإسراف فى المعاصى و اجتذاذ عقيدة الشرک المطمورة فى داخل نفوس الناس.

و ليس بالأمر الهين تغيير العقائد،و ليس من اليسـير حمل الناس على منهج لم يألفوه من قبل،و ليس من الأوفق إعطاؤهم كل التعاليم دفعة واحدة دون ترويض و قبل التمهيد لها،حتى يتسنى لهم قبولها بعد تطويع غرائزهم و سجاياهم و تنبيه جانب الخير فى نفوسهم.ثم إن تنجيم القرآن يعطى فرصة للناس حتى يتدبروا معانيه السامية و دلالاته الشريفة و مقاصده النبيلة،و يطعموا لذة سماعه فيرتوى منه الحس و يأنس به الوجدان.

ظل القرآن ينزّل نجوما ساطعة لألاءة فانبلج صـبح الهداية،و أسـفر الفجر و بدا عموده و انجلى شمراخه،و نكص الجهل فى غبش الظلمات هاربا يجر فلوله المنكوبة بتعالى كلمات التوحيد خافقة مدوية فى أرجاء مكة،و يثرب.

خلال ثلاثة و عشـرين عاما،ظلت النجوم تنزل تترى فكان النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم يقرؤها على مكث و يقرؤها الصـحابة شـيئا فشيئا،و تلک النجوم تنزل مع الأحداث و الوقائع و المناسـبات الفردية المتعاقبة على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم و قد بدأ نزول القرآن الكريم فى ليلة القدر،قال تعالى: إِنّٰا

أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ (1)

.

و فی تنجیم سور القرآن الکریم رحمة من رب العالمین و لطف و بر برسوله صـلّی اللّه علیه و سلّم،حیث کانت نزلة جبریل علیه فیها تفریج عن کروبه و مصاعبه التی لاقاها و قاسی منها و کابد من لأوائها،لقاء نهوضه بالتبلیغ عن ربه و الذی کان غریبا وسط قومه و صاغیته.

و من ثم،کان تتابع نزول الآیات علیه یشد من أزره،و یحمله علی الصبر و المثابرة و المصابرة و یبشـره بالنصر و تفریج الهموم فی النهایة (2)

.

قال تعالی فی کتابه الکریم: کَذٰلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَکَ (3) .

کما أن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلّم کان یأخذ فی ترديد الآیة و تکرارها عند نزولها علیه متعجلا حفظها مخافة أن تفلت منه حتی أنزل الحق سبحانه و تعالی قوله:

لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ لِسٰانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَیْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (4)

.

کذلک فإن احتواء القرآن الکریم علی الفقه و عامة الأحکام بفروعها المختلفة حتم ألا یکون نزوله دفعة واحدة (5) .حتی لا یفاجیء الناس

1- 1) القدر(1/97)قال المفسـرون:سمیت لیلة القدر لعظمها و قدرها و شرفها و المراد بإنزال القرآن إنزاله من اللوح المحفوظ إلی السماء الـدنیا،ثم نزل به جبریل إلی الأرض فی مدة ثلاث و عشـرین سـنة،قال ابن عباس أنزل اللّه القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلی بیت العزة من السـماء الدنیا،ثم نزل مفصـلا بحسب الوقائع فی ثلاث و عشرین سنة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم.راجع الجامع لأحکام القرآن(130/19)؛و مختصر ابن کثیر(/3 659).

2- 2) راجع کتاب التعبیر الفنی فی القرآن للدکتور بکری شیخ أمین.ص 21.ط.الشروق سنة 1979 م.بتصرف.

3- 3) الفرقان(32/25).

4- 4) القیامة(17/75)راجع تفسیر روح المعانی للآلوسی(42/29)ط.دار إحیاء التراث العربی،بیروت.

5- 5) ثم إن الناسخ و المنسوخ،فی القرآن لا یمکن أن یتأتی إذا أنزل مجملا،فلا بد من التفریق و التنجیم.

و يباغتهم بقيوده التشريعية التى لم يألفوها،و من ثم كان يصعب و يشق عليهم الأمر،بل يستحيل حملهم على التزام المنهج.

أمـا ترتيب سور القرآن فـإنه يختلف اختلافا كبيرا عن ترتيب المصـحف و لعل ذلک مرجعه إلى اختلاف المقصود و تباين الهـدف من كلا الترتيبين.

و نحن نعرف أن الفترة المكيـة كانت أحوج إلى تمكين العقيـدة فى نفوس الناس و ترسـيخ أطنابها فى أعماق المجتمع و مزجها بوجدان كل فرد،و ذلک لأن العقيدة هى جماع الدعوة و مناط التكليف الأول،و لم يشـرع أى من العبادات فى مكة إلا الصـلاة لأنها حتمية لشحن طاقة المسلم بالطواعية و التسليم و الولاء للخالق جل شأنه،و هى من أسباب الانقياد و التمكين للعقيدة.

و قد كانت السورة تنزل بمكة إلا آيات معلومات منها،مثلا على ذلک:

سورة الحج،نزلت بمكة،إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة (1) : هٰذٰانِ خَصْمٰانِ... الآيات الثلاث.

و سورة السجدة أيضا نزلت بمكة،إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة و هى: أَ فَمَنْ كٰانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كٰانَ فٰاسِقاً... الآيات الثلاث.

أيضـا سورة الزمر نزلت بمكـة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينـة فى وحشـى قاتل حمزة بن عبـد المطلب رضـى اللّه عنهما: قُلْ يٰا عِبٰادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ... الآيات الثلاث.

و قد حدث هذا التفريق فى النزول باستثناء آية و آيات لتنزل بعد نزول أجزاء تلک السورة بسنوات بعيدة كما فى سورة البقرة و الأنعام

1- 1) و سورة الأنعام هى إحـدى السور المكيـة الطويلة التى يدور محورها حول العقيدة الإسـلامية و قضايا الدين الإيمانية،و لم تتكلم و لم تتعرض لأى شـىء من العبادات أو غيرها بل تناولت قضايا العقيـدة الكبرى الأساسـية من قضـية الألوهيـة،و قضـية الوحى و الرسالة ثم البعث و الجزاء.راجع تفسير الشيخ الصابونى(362/7)بتصرف.

و الأعراف و الأنفال و يونس و هود و يوسف و أربعين سورة أخرى،و مع ذلک فقد وضعت الآيات المتأخرة فی نزولها من تلک السورة فی أماكنها،متوافقة غير متنافرة متصلة غير منفصلة دقيقة البناء راسخة الاتصال لا يبدو معها قلق و لم يظهر فيها اضطراب (1) .

و هذا الارتباط الوثيق بين الآيات السابقة و اللاحقة ينطق بروعة الإعجاز الحكيم المتقن.

و نحن بإزاء ترتيبين لسور القرآن:ترتيب فی النزول،و ترتيب فی المصحف.و لكل واحد منهما دلائل و سمات و مميزات لخدمة قضية حيوية بذاتها فلا يمكن الخلط بين هذه و تلک.

و هذا ينجلی من سورة المدثر حيث ورد فی مفتتح الترتيب النزولی الحديث عن القرآن الكريم و الذود عن حوزته و التنديد بالمعرضين عنه فی قوله تعالی: ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ* فَقالَ إِنْ هٰذا إِلاّٰ سِحْرٌ يُؤْثَرُ* إِنْ هٰذا إِلاّٰ قَوْلُ الْبَشَرِ (2) ثم قوله تعالی عز من قائل: كَلاّٰ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ* فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ* وَ ما يَذْكُرُونَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (3) .

ثم يصور القرآن الكريم صدوف الكفار المعاندين المرجفين عن دعوة الحق بقوله: فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ* كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (4) .

ثم يأتی فی سورة القلم ثانية سور القرآن الحكيم حسب الترتيب

1- 1) و هذه الدقة الرائعة فی تلاحم الآيات المتأخرة،و وضعها فی مواضعها الأصلية من النصوص المتقدمة بتوافق و انسجام إنما يدل على عظمة الخالق جل شأنه و على أن القرآن الكريم معجز فی كل ما جاء به و أنه ليس من قول بشر.

2- 2) المدثر(74/23-25).

3- 3) المدثر(74/54-56)راجع تفسير الآيات فی الفخر الرازی الكبير(30/213).

4- 4) المدثر(74/49-51)راجع تفسير البحر المحيط(8/380).

النزولی فیمضی الحدیث عن الولید بن المغیرة فی قوله تعالی: عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِکَ زَنِیمٍ. أَنْ کٰانَ ذٰا مٰالٍ وَ بَنِینَ. إِذٰا تُتْلیٰ عَلَیْهِ آیٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِیرُ الْأَوَّلِینَ. سَنَسِمُهُ عَلَی الْخُرْطُومِ (1) .

و فی نهایة السورة یقول الحق تبارک و تعالی: وَ إِنْ یَکٰادُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَیُزْلِقُونَکَ بِأَبْصٰارِهِمْ لَمّٰا سَمِعُوا الذِّکْرَ وَ یَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ. وَ مٰا هُوَ إِلاّٰ ذِکْرٌ لِلْعٰالَمِینَ (2) .

أما فی بدایة المصحف فنری الترتیب فی غایة الدقة و الحدیث عن القرآن یختلف اختلافا تاما،فلو تأملنا أول سورة البقرة لوجدنا قول الحق تبارک و تعالی:

ذٰلِکَ الْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ. اَلَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْغَیْبِ

(3)

ثم بعد ذلک یقول عز من قائل:

وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمّٰا نَزَّلْنٰا عَلیٰ عَبْدِنٰا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدٰاءَکُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّٰارَ الَّتِی وَقُودُهَا النّٰاسُ وَ الْحِجٰارَةُ أُعِدَّتْ لِلْکٰافِرِینَ

(4)

.

نستنبط مما تقدم أن القرآن فی أول ترتیبه النزولی یتجه،فی أول سورة المدثر الی تسفیه قول الولید بن المغیرة و التندید به،ثم ینعی علی مثله، و هم کثیر وقتذاک،الاعراض عما جاء به التنزیل من تذکرة لأولی النهی.

1- 1) القلم(68/13-16)قال الشیخ الصاوی فی حاشیة علی الجلالین:(233/4):«لم یکن الولید یعرف أنه ابن زنا حتی نزلت الآیة بقوله تعالی: زَنِیمٍ فی وصف الولید، حیث اعترفت له أمه أن أباه کان عنینا فمکنت راعیا منها فوقع علیها فلما تغشاها حملت فی الولید»أ ه.بتصرف.

2- 2) القلم(68/51،52)

3- 3) البقرة(2/2،3).

4- 4) البقرة(2/23،24).

ثم يأتى القرآن الكريم فى سورة القلم،فيصل الحديث عن الوليد بقوله تعالى:

وَ لاٰ تُطِعْ كُلَّ حَلاّٰفٍ مَهِينٍ* هَمّٰازٍ مَشّٰاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنّٰاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ* عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِکَ زَنِيمٍ* أَنْ کٰانَ ذٰا مٰالٍ وَ بَنِينَ* إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آيٰاتُنٰا قٰالَ أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

(1)

.

و هنا تبرز العظمة الإلهية فى التنسيق و الإبداع القرآنى،اللذين يثبتان للأفهام أن هذا القرآن هو المعجزة الكبرى للّه،و حجة السماء على أهل الأرض أجمعين،و أن كلمته هى العليا و كلمة الباطل اللجوج مدحوضة ذميمة مردودة. (2)

و تأخذ العقل و الفهم و الفكر الحيرة،عند ما يجد السورة الحادية و الخمسين فى ترتيب النزول قد تصدرت المصحف و هى سورة البقرة...

و هذا الإتقان ضرورى حتمى،لمجاراة هذه الكوكبة الهائلة من الأمصار التى تشابه المدينة-حاضرة الإسلام-فى مثل ظروفها و رصيدها من الجو النفسى و الأخلاقى و الاجتماعى.

و حيثما دققت النظر،استبان لک معنى جديد من معانى الترتيب،فما يصح فى منطق القول أن نحدد مرادات اللّه سبحانه و تعالى،و هو المطلق على الإطلاق،و المحيط بالعقول و الأفهام و المواهب.

و قد استثمر الكثير من الملاحدة و المتطرفين مسألة ترتيب القرآن فى المصحف،و عمدوا بذلک إلى القول باختلاف مصاحف بعض الصحابة فى ترتيبها،و قد صدع شعبهم الحق الأبلج،و أبطل أقوالهم و أفسد دعواهم، و قد كان للإمام السيوطى دور عظيم،فى دحض هذه الافتراءات نوجزها فيما يلى بتصرف:

قال تعالى فى سورة البقرة[21/2] : يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اعْبُدُوا

1- 1) القلم(68/8-15)

2- 2) هود(11/3)

رَبَّكُمُ فالعبادة هنا معناها:التوحيد،و هذا ما يلزم المسلم أن يعرفه حتما بادئ ذى بدء.

ثم يؤكد هذا المعنى بالسورة نفسها فى قوله تعالى:

وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِى جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ .

و هو علم الكمال بالحق سبحانه و تعالى و أسمائه و صفاته.

و هـذه الآية،بمعانيها الواضـحة فى أول سور المصـحف مع أنها مدنية و ليست مكية،دليل جلى و برهان واضح على أن هذا الترتيب توقيفى من الـوحى.ثم يـدل على ذلـک قـوله تعـالى فى سـورة هـود: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ .و سـورة هـود مكيـة،أى من البقرة إلى هود و ترتيب هود(الحاديـة عشـرة)من ثم،فإن آيـة هود مسـتقيمة المعنى على ترتيب النزول،باعتبار أن التحدى واقع على عشـر سور من القرآن عامة غير محددة،بيد أن ترتيب المصحف حدد العشر.

و من دلائـل الترتيب أيضـا و حكمته و إتقـانه قوله تعالى: إِلاّٰ إِبْلِيسَ أَبىٰ وَ اسْتَكْبَرَ (1) و العـادة التى جرى عليهـا القرآن أن يجمل مسائل العقيدة،ثم يفصلها فيما تلاها من آيات و هذا هو الثابت فى ترتيب المصحف.

و إباء إبليس كان بيانا للعقيدة بإظهار موانع الإيمان بها فالضد يظهر شأنه الضد،ثم فصلت بعد ذلک.

ثم أتى فى سورة الحجر فبين موضع الإباء بقوله تعالى:

إِلاّٰ إِبْلِيسَ أَبىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السّٰاجِدِينَ (2)

.

1- 1) البقرة(34/2).

2- 2) الحجر(31/15).

ثم يقول فى سورة الإسراء: قٰالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً (1) .

و هو بيان لعلة الإباء.

ثم يقول فى سورة ص: إِلاّٰ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كٰانَ مِنَ الْكٰافِرِينَ (2) .و فيها علة أخرى و هى من علل الإباء و هى الكبر مع تفصيل نتائجها.

قال تعالى فى سورة البقرة: رَبِّ اجْعَلْ هٰذٰا بَلَداً آمِناً (3) .

ثم يقول فى سورة إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً (4) .

(بلدا)جاءت منكرة فى سورة البقرة،ثم وردت معرفة فى سورة إبراهيم،لأن دعاءه عليه السلام فى البقرة كان قبل بناء الكعبة،و ذلک مشار إليه فى قوله تعالى: بِوٰادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ [37/2]

.

فلما بنيت الكعبة،و استقر الناس حولها جاء الدعاء للمعرفة و هى الحاضرة المعروفة المعالم المحددة.

قال تعالى أيضا فى سورة البقرة: وَ قٰاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلّٰهِ (5) .

ثم قال تعالى فى الأنفال: وَ قٰاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ (6) .

1- 1) الإسراء(61/17).

2- 2) ص(74/38)

3- 3) البقرة(126/2)

4- 4) إبراهيم(15/14).

5- 5) البقرة(193/2).

6- 6) الأنفال(39/8).

و هذا النسق إنما جاء لترتيب القتال،داخل الجزيرة العربية فى الأولى و خارجها فى الثانية،فوردت فى الأنفال لفظة(كله).

ثم يأتى القرآن الكريم فى مخاطبة منكريه فى سورة البقرة فيقول:

وَ ادْعُوا شُهَدٰاءَكُمْ... (1)

.

ثم يأتى فى سورة يونس فيقول عز من قائل: وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ (2) .

كذلك فى مقام التحدى فى سورة هود قال: مَنِ اسْتَطَعْتُمْ .

ثم تدرج التحدى شيئا فشيئا مع الترتيب المصحفى مسايرا للملابسات حتى سورة الإسراء حيث وقع التحدى صراحة على جميع القرآن،فوجه الكلام إلى الثقلين،الإنس و الجن جميعا،قال تعالى:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ*وَ لَوْ كٰانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (3)

.

تأمل هذا التدرج فى التحدى.

ثم تأمل قوله تعالى فى سورة النمل: أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ خمس مرات متوالية،و ختمت الآية الأولى بقوله: بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ [60]

و الثانية بقوله: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ [61]

و الثالثة بقوله: قَلِيلاً مٰا تَذَكَّرُونَ [63]

و الرابعة بقوله: تَعٰالَى اللّٰهُ عَمّٰا يُشْرِكُونَ [63]

و الخامسة بقوله: قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ [64]

.

1- 1) البقرة(23/2).

2- 2) يونس(38/10).

3- 3) الإسراء(88/17).

کـذلک الأمر فی ترتیب المسـبحات،فقد شـمل القرآن الکریم کلمة «التسبیح»،من جمیع اشـتقاقاتها و جهاتها علی ترتیب بدیع و تنسـیق رائع.

و مما یلفت النظر اسـتعمال کلمة سـبحان علی صورة المصدر فی الإسـراء،و هو أصل المشتقات،ثم استعملت علی صورة الفعل الماضی فی الحدید و الحشر و الصف،و الماضی هو أسبق الزمانین،ثم استعملت بالفعل المضارع فی سورتی الجمعة و التغابن،ثم جاء أخیرا بفعل الأمر فی سورة الأعلی.

فسبحان اللّه تعالی عما یشرکون،تعالت قدرته و جل ذکره،و لکن الذین کفروا بربهم یعدلون.

ص: 17

ترجمة الإمام جلال الدين السيوطى

[849-911 ه]

[1445-1505 م]

هو عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى،جلال الدين،إمام و مؤرخ و حافظ اديب تربو مصنفاته على ستمائة مجلد،من الأسفار الكبيرة إلى الرسائل الصغيرة،قد انفرد بمصنفات قيمة غير مسبوق فيها.نشأ فى القاهرة يتيما،مات أبوه و عمره خمس سنوات،فلما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس،و خلا بنفسه فى روضة المقياس،على النيل منزويا عن أصحابه جميعا متنكرا لهم،من ثم كانت الفرصة مواتية لإخراج هذا الرصيد الضخم من المصنفات (1) .

و قيل إن الأغنياء كانوا يقدمون إليه الهدايا و الهبات،فكان يردها عليهم.

و خير ترجمة لهذا الإمام الأمة ما قاله عن نفسه فى«حسن المحاضرة» كتابه القيم إذ قال:

«و كان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد،مستهل رجب سنة تسع و أربعين و ثمانمائة،و حملت فى حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب،رجل

---

1 - 1) راجع ترجمة السيوطى رحمه اللّه فى الكواكب السائرة(266/1)و شذرات الذهب(/8 51)و آداب اللغة(228/3)و ابن إياس(83/4)و خزائن الكتب(37)و الضوء اللامع(65/4)و حسن المحاضرة(188/1)،و معجم المطبوعات(1073) و مخطوطات الظاهرية(355)و الخزانة التيمورية(151/3)

من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسى (1) فبارک علىّ».

ثم يقول بعد ذلک:

«و نشأت يتيما،فحفظت القرآن ولى دون ثمانى سنين،ثم حفظت العمدة،و منهاج الفقه،و الأصول و ألفية ابن مالک،و شرعت فى الاشتغال بالعلم من مستهل سنة اربع و ستين،فأخذت الفقه و النحو عن جماعة من الشيوخ،و أخذت الفرائض عن العلامة فرضى زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحى (2) الـذى كان يقال أنه بلغ السن العاليـة، و جاوز المائـة بكثير،و اللّه أعلم بذلک،قرأت عليه شـرحه على المجموع، و أجزت بتدريس العربية فى مستهل سنة ست و ستين و ثمانمائة».

ثم يسترسل فى الحديث عن نفسه فيقول:

«و رزقت التبحر فى سـبعة علوم:التفسـير،و الحديث،و الفقه، و النحو،و المعانى،و البيان،و البديع؛على طريقة العرب البلغاء،لا على طريقة العجم،و أهـل الفلسـفة،و دون هـذه السـبعة فى المعرفـة:أصول الفقه،و الجـدل و التصـريف،و دونها الإنشاء و الترسل و الفرائض،و دونها القراءات،و لم آخذها عن شيخ،و دونها الطب»أ ه.

و قد عدّ له الأسـتاذ بروكلمان 415 مصـنفا بين مطبوع و مخطوط، و العلامـة فلوجل 560 مصـنفا،و ذكر له الأسـتاذ السخاوى نحو 576 مصنفا (3) .

1- 1) مشهد السيدة نفيسة المعروف بالقاهرة

2- 2) نسبة الى شارمساح،و هى قرية قريبة من دمياط.

3- 3) و قد كان السـخاوى عدوا لدودا للسـيوطى،و السخاوى مؤرخ كبير و عالم ثبت جليل إلا أنه كان معاصرا للسيوطى و كان بينهما من المنافسة و العداوة و الخصومة ما هو قائم بين علماء كل عصـر و مصر،و قد حمل على السيوطى حملا عنيفا اتهمه فيه بأنه اختلس كثيرا من مؤلفاته إبان تردده عليه و ذكر أسماء كتب معروفة للسيوطى،و اتهمه بأنه غير فيها يسيرا بالتقديم و التأخير و نسبها لنفسه،و لكنى أعتقد أن فى قول السـخاوى مبالغة و مجافاة للواقع و المنطق لأنه حمل على غير السيوطى و رمى كثيرا من العلماء بالمنكرات و بما لا يليق بكراماتهم،و قد جرد السيوطى نفسه فيه فى رسالة أسماها:«مقام الكاوى على تاريخ السخاوى»نال منه فيها. مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 1510

و قـد ظل السـيوطى طول عمره مشـتغلا بالتـدريس و الفتيا متفرغا للعلم و التأليف،و إبان اعتزاله فى منيل الروضة بالقاهرة هجر التدريس و الفتيا و ألّف كتابه«النفيس فى الاعتذار عن الفتيا و التدريس».

و قد التقى الشعرانى بالسيوطى مرة واحدة قبيل وفاته.

و قد مات رضـى اللّه عنه،فى سـحر ليلة الجمعة تاسع عشـر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة و تسعمائة،و كان مرضه سبعة أيام،بورم شديد فى ذراعه الأيسر.

و قد مات عن إحدى و ستين سـنة و عشـرة أشـهر و ثمانية عشر يوما، و كان له مشهد عظيم،ثم دفن بحوش قوصون خارج باب القرافة،و قبره ظاهر و عليه قبة.

و هـذا الرجل العملاق،الـذى قطع عمره كله فى البحث و التأليف و التصـنيف،لا يمكن أن يقلل من شأنه حاقـد أو حسود مصـدور موغور البـاطن،فمؤلفات السـيوطى القيمـة التى تأخـذ بمجامع القلوب إنما تـدل و تنم عن مقـدرة و كفاءة و سـخاء،و ما قيل فيه ليس إلا من قبيل السخيمة و البغضاء.

نسأل اللّه أن يرحمه رحمة دائمة موصولة،لقاء ما أسدى من معروف يقصر دونه كل فخر و عرفان.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

القاهرة فى يناير/كانون الثانى 1985 م السيد الجميلى

ص: 21

بين يدى هذا الكتاب و عملنا فيه

هذا الكتاب اسمه:[تناسق الدرر فى تناسب السور]

.

و قد آثرنا تغييره إلى[تناسق و ترتيب سور القرآن]

كما فى واجهة هذه المطبوعة مع الإشارة إلى الإسم الأصلى فى داخل النسخة،فإن ذلک-فى نظرنا-أنسب و أقرب للفهم.

و لا يوجد فى مصر من هذا الكتاب إلا نسخة واحدة ضمن مجموعة رقم(419)تفسير تيمور بدار الكتب المصرية.

و هـذا الكتاب مكتوب بخط بين النسخ و الفارسـى،و لم يرد ذكر تاريخ النسخ مع بعض الأخطاء اليسـيرة،و تقع فى اثنتين و ثلاثين ورقة، و يختلف عدد سـطورها ما بين ثمانية و عشـرين سـطرا،و اثنين و ثلاثين سـطرا.و أغلب الظن أن هذه النسخة مكتوبة فى عصر المؤلف و اللّه أعلم.

و قـد قام صـديقنا المرحوم الأسـتاذ عبـد القادر عطا بتحقيق هـذا الكتاب و أعطاه عنوانا آخر أسـماه:(أسـرار ترتيب القرآن)و قدم له بمقدمة طويلـة و أحسب أن هـذه هى المطبوعـة الأولى لهذا الكتاب القيّم و قد صدرت سـنة 1976 م.مط.الاعتصام.و قـد قمنا بمراجعة النص،و زيادة على ذلک تخريـج الآيات القرآنية،موضـحين رقم السورة و كذلک رقم الآية،و ذكر آراء المفسـرين فى بعض الأحيان مع الإشارة إلى المرجع و رقم الصفحة و الطبعة فى أغلب الأحوال.و ضبط الأعلام و التعريف بغير المعروف منها،

و تصحيح بعض الأخطاء و الإشارة إلى ذلک.

و قد أفسحنا المجال لكثير من الآراء الشرعية و الفقهية من مراجع التفسير الشهيرة، حتى تتسع دائرة النفع و يسهل استيعاب مادة الكتاب الجامعة للخير و الفضل.

و بهذا، يكون الكتاب قد كمل بناؤه و وافق مسيرة العلم الناهضة.

نسأل اللّه عموم النفع به، و الإفادة منه كما نوى به مؤلفه رحمه اللّه.

ص: 24

[توضیح]

بسم اللّه الرحمن الرحیم و صلی اللّه علی سیدنا محمد و آله و صحبه و سلم الحمد للّه الذی أنزل کتابه المجید علی أحسن أسلوب،و بهر بحسن أسالیبه و بلاغة ترکیبه القلوب،نزله آیات بینات،و فصله سورا و آیات، و رتبه بحکمته البالغة أحسن ترتیب،و نظمه أعظم نظام بأفصح لفظ و أبلغ ترکیب،صلی اللّه علی من أنزل إلیه لینذر به و ذکری،و نزّله علی قلبه الشریف فنفی عنه الحرج و شرح له صدرا،و علی آله و صحبه مهاجرة و نصرا.و بعد:

فإن اللّه سبحانه منّ علیّ بالنظر فی مواقع نجومه،و فتح لی أبواب النظر فیه إلی استخراج ما أودع فیه من علومه،فلا أزال أسرّح النظر فی بساتینه من نوع إلی نوع،و أستسنح (1) الخاطر فی میادینه فیبلغ الغرض و یرجع و هو یقول:لا روع،فتقت (2) عن أنواع علومه و لقیتها،و أودعت ما أوعیت منها فی دواوین أوعیتها،و نقبت عن معادن معانیه و أبرزتها، و أوقدت علیها نار القریحة و میزتها،و ألفت فی ذلک جامعا و مفردا،و مطنبا و مقصدا (3) ،و من خلق لشیء فإلی تیسّره،و من أحب شیئا أکثر من ذکره.

1- 1) أستسنح الخاطر:أتأمل به متفحصا متأملا.

2- 2) فتقت عن أنواع علومه:کشفت عن سرها أماطت اللثام عنها.

3- 3) الإطناب:التطویل،و القصد:الاختصار.

و إن مما ألفت فی تعلقات القرآن،کتاب«أسرار التنزیل»الباحث عن أساليبه،المبرز أعاجيبه،المهين لفصاحة ألفاظه و بلاغة تراكيبه،الكاشف عن وجه إعجازه،الداخل إلى حقيقته عن مجازه،المطلع على أفانينه، المبدع فی تقرير حججه و براهينه،فإنه اشتمل على بضعة عشر نوعا:

الأول:بيان مناسبات ترتيب سوره،و حكمة وضع كل سورة منها.

الثانی:بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل فی السورة التی قبلها.

الثالث:وجه اعتلاق (1) فاتحة الكتاب بخاتمة التی قبلها.

الرابع:مناسبة مطلع السورة للمقصد الذی سيقت له،و ذلک براعة الاستهلال.

الخامس:مناسبة أوائل السور لأواخرها.

السادس:مناسبات ترتيب آياته،و اعتلاق (2) بعضها ببعض،و ارتباطها و تلاحمها و تناسقها.

السابع:بيان أساليبه فی البلاغة،و تنويع خطاباته و سياقاته (3) .

الثامن:بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها، كالاستعارة،و الكناية،و التعريض،لالتفات،و التورية، و الاستخدام،و اللف و النشر،و الطباق،و المقابلة،و غير ذلک.

و المجاز بأنواعه،و أنواع الإيجاز و الإطناب.

التاسع:بيان فواصل الآی،و مناسبتها للآی التی ختمت بها.

العاشر:مناسبة أسماء السور لها.

الحادی عشر:بيان وجه اختيار مرادفاته دون سائر المرادفات.

1- 1) اعتلاق:اتصال،مأخوذة من العلاقة.

2- 1) اعتلاق:اتصال،مأخوذة من العلاقة.

3- سياقاته :جمع مفرده سياق

الثانی عشر:بیان القراءات المختلفة،مشهورها و شاذها،و ما تضمنته من المعانی و العلوم،فإن ذلک من جملة وجوه إعجازه.

الثالث عشر:بیان وجه تفاوت الآیات المتشابهات فی القصص و غیرها بالزیادة و النقص،و التقدیم و التأخیر،و إبدال لفظة مکان أخری، و نحو ذلک.

و قد أردت أن أفرد جزءا فی نوع خاص من هذه الأنواع،هو:

مناسبات ترتیب السور،لیکون عجالة لمریده،و بغیة لمستفیده،و أکثره من نتاج فکری،و ولاد نظری،لقلة من تکلم فی ذلک،أو خاض فی هذه المسالک،و ما کان فیه لغیری صرحت بعزوه إلیه،و لا أذکر منه إلا ما استحسن،و لا انتقاد علیه،و قد کنت أولا سمیته:«نتائج الفکر فی تناسب السور»لکونه من مستنتجات فکری کما أشرت إلیه،ثم عدلت و سمیته«تناسق الدرر فی تناسب السور»لأنه أنسب بالمسمی،و أزید بالجناس.

و باللّه تعالی التوفیق،و إیاه اسأل حلاوة التحقیق،بمنه و یمنه.

ص: 27

تمهید

اشارة

ص: 29

فی ترتیب السور

اختلف العلمـاء فی ترتیب السور،هـل هو بتوقیف من النبی صـلّی اللّه علیه و سـلّم،أو باجتهاد من الصـحابة،بعـد الإجماع علی أن ترتیب الآیات توقیفی، و القطع بذلک.

فذهب جماعة إلی الثانی،منهم:مالک،و القاضی أبو بکر فی أحد قولیه،و جزم به ابن فارس.

و مما اسـتدل به لـذلک:اختلاف مصاحف السـلف فی ترتیب السور، فمنهم من رتبها علی النزول،و هو مصـحف علی،کان أوله«اقرأ»،ثم البواقی علی ترتیب نزول المکی،ثم المدنی،ثم کان أول مصـحف ابن مسـعود«البقرة»ثم«النساء»ثم«آل عمران»علی اختلاف شدید، و کذا مصحف أبیّ بن کعب و غیره،علی ما بینته فی الإتقان (1) .

و فی المصاحف لابن أشتة،بسنده عن عثمان،أنه أمرهم أن یتابعوا الطّول.

و ذهب جماعة إلی الأول،منهم:القاضی أبو بکر (2) فی أحد قولیه،

1- 1) راجع تفسیر القرطبی(51/1)و الإتقان(216/1).

2- 2) هو القاضـی أبو بکر الباقلانی،محمد بن الطیب بن محمد بن جعفر،من کبار علماء الکلام انتهت الیه الرئاسة فی مذهب الأشاعرة،و قد ولد فی البصرة سنة 338 ه،و سـکن بغداد فتوفی فیها،و قد کان جید الاسـتنباط،سریع الجواب،و له کتاب«إعجاز القرآن»و هو قیم جزل فی مادته.توفی ببغداد سنة 403 ه. راجع وفیـات الأعیان لابن خلکان(481/1).و قضاة الأندلس(37-40)و تاریخ بغداد(379/5)و الوافی بالوفیات(177/3).

و خلائق.قال أبو بكر بن الأنبارى:أنزل اللّه القرآن كله إلى سماء الدنيا،ثم فرقه فى بضع و عشرين سنة،فكانت السورة تنزل لأمر ينزل، و الآية جوابا لمستخبر،و يوقف جبريل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على موضع الآية و السورة،فاتساق السور كاتساق الآيات و الحروف،كان عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن (1) .

و قال الكرمانى فى البرهان:ترتيب السور هكذا هو عند اللّه تعالى فى اللوح المحفوظ،و هو على هذا الترتيب،و كان يعرض النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على جبريل ما اجتمع لديه منه،و عرضه صلّى اللّه عليه و سلّم فى السنة التى توفى فيها مرتين (2) .و كذا قال الطيبى.

و قال ابن الحصار (3) :[ترتيب السور]

(4) ،و وضع الآيات موضعها إنما كان بالوحى.

و قال البيهقى فى المدخل:كان القرآن على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مرتبا

1- 1) راجع القرطبى(60/1)و الإتقان للسيوطى(217/1).

2- 2) الكرمانى،هو محمود بن حمزة بن نصر،أبو القاسم برهان الدين الكرمانى،و يعرف بتاج القراء،و هو عالم بالقراءات،و قد نقل فى التفسير آراء مستنكرة،فى معرض التحذير منها، و كان الأولى إهمالها،أثنى عليه الجزرى و ذكر بعض كتبه،و له كتاب«العجائب و الغرائب».فى مجلدين،ضمنه أقوالا فى معانى بعض الآيات،قال السيوطى فى الإتقان: «و لا يحل الاعتماد عليها،و لا ذكرها إلا للتحذير منها»و توفى نحو سنة 505 ه. راجع غاية النهاية(291/2)و الإتقان(221/2)و كشف الظنون(131 و 1562).

3 - 3) ابن الحصّار،هو:على بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجى،أبو الحسن، الحصار فقيه إشبيلى الأصل،منشؤه بفاس،سمع بها و بغيرها و بمصر،و جاور بمكة و توفى بالمدينة،و له كتب فى أصول الفقه و الناسخ و المنسوخ،سمع منه الحافظ المنذرى و توفى رحمه اللّه سنة 611 ه.راجع جذوة الاقتباس(298)و التكملة لابن الآبار(686)و الاعلام لخير الدين الزركلى(151/5).

4- 4) ما بين الحاصرين المعقوفين مزيد من الإتقان(216/1).

سوره و آیاته علی هذا الترتیب،إلا الأنفال و براءة للحدیث الآتی فیهما.

و مال ابن عطیة إلی أن کثیرا من السور کان قد علم ترتیبها فی حیاته،صلّی اللّه علیه و سلّم کالسبع الطوال:و الحوامیم،و المفصل،و ان ما سوی ذلک یمکن أن یکون قد فوض الأمر فیه إلی الأمة بعده.

و قال أبو جعفر بن الزبیر:الآثار تشهد بأکثر مما نص علیه ابن عطیة،و یبقی منها القلیل یمکن أن یجری فیه الخلاف،لقوله صلّی اللّه علیه و سلّم:

«اقرءوا الزهراوین:البقرة و آل عمران».رواه مسلم (1) .و کحدیث سعید بن خالد أنه صلّی اللّه علیه و سلّم صلی بالسبع الطوال فی رکعة،و أنه کان یجمع المفصل فی رکعة.أخرجه ابن أبی شیبة (2) .و أنه صلّی اللّه علیه و سلّم کان إذا أوی إلی فراشه قرأ:قل هو اللّه أحد،و المعوذتین.أخرجه البخاری (3) و فیه عن ابن مسعود أنه قال فی بنی إسرائیل و الکهف و مریم و طه و الأنبیاء:

«إنهن من العتاق الأول،و هنّ من تلادی» (4) و قال أبو جعفر النحاس:المختار أن تألیف السور علی هذا الترتیب من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم،لحدیث:«أعطیت مکان التوراة السبع الطوال، و أعطیت مکان الإنجیل المثانی،و فضّلت بالمفصّل».أخرجه أحمد و غیره.

قال:فهذا الحدیث یدل علی أن تألیف القرآن مأخوذ عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم،و أنه من هذا الوقت هکذا.

و قال الحافظ ابن حجر (5) :ترتیب معظم السور توقیفی،لحدیث

1- 1) الحدیث أخرجه الإمام مسلم(913/2)و أبو داود(89،88/1)مختصرا.

2- 2) أخرجه الهیثمی فی مجمع الزوائد(162/7)فراجعه إن شئت.

3- 3) راجع صحیح البخاری(233/6)فی تفسیر القرآن.

4- 4) البخاری(189/6).

5- 5) هو الحافظ ابن حجر العسقلانی،أحمد بن علی بن محمد الکنانی،أبو الفضل شهاب الدین،من أئمة العلم و التاریخ أصله فلسطینی من عسقلان،ولد فی القاهرة سنة 773 ه ثم أولع بالأدب و الشعر و اهتم بالحدیث؛فکان حافظ الإسلام فی عصره؛توفی بالقاهرة سنة 852 ه.راجع خطط مبارک(37/6)و آداب اللغة(165/3)و الضوء اللامع (36/2).و دائرة المعارف الإسلامیة(131/1).

أحمـد و أبی داود عن أوس الثقفی قال:کنت فی وفـد ثقیف،فقال رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلّم:«طرأ علیّ حزبی من القرآن،فأردت ألا أخرج حتی أقضیه».

قال أوس:فسألنا أصـحاب رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سلّم قلنا:کیف تحزبون القرآن؟ قالوا:نحزّبه ثلاث سور،و خمس سور،و سبع سور،و تسع سور، و إحدی عشرة سورة،و ثلاث عشرة سورة،و حزب المفصل،من«ق» حتی نختم (1) .

قال:فهذا یدل علی أن ترتیب السور علی ما هو علیه فی المصحف الآن کان علی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم.

و قال بعضهم:لترتیب وضع السور فی المصحف أسباب تطلع علی أنه توقیفی صادر من حکیم.

الأول:بحسب الحروف،کما فی الحوامیم،و ذوات(الر).

الثانی:لموافقة آخر السورة لأول ما بعدها.کآخر الحمد فی المعنی.و أول البقرة.

الثالث:الوزن فی اللفظة.کآخر(تبت)و أول(الإخلاص).

الرابع:لمشابهة جملة السورة لجملة الأخری،کالضحی و أ لم نشرح.

و قال بعضهم:إذا اعتبرت افتتاح کل سورة وجدته فی غایة المناسبة لما ختمت به السورة التی قبلها،ثم یخفی تارة،و یظهر أخری.

و أخرج ابن أبی شـیبة عن ربیعـة،إنه سـئل:لم قـدمت البقرة و آل عمران،و قـد نزل قبلهما بضع و ثمانون سورة بمکـة،و إنما نزلتا بالمدینـة؟ فقال:قدمتا و ألّف القرآن علی علم ممن ألّفه.و قد اجتمعوا علی علمهم بذلک.فهذا مما ینتهی إلیه.و لا یسأل عنه (2) .

1- 1) أخرجه أبو داود(140/1)و الحدیث أخرجه أیضا الإمام أحمد فی مسنده(43/5).

2- 2) الجامع لأحکام القرآن للقرطبی(52/1).

فإن قلت:فما عندک فی ذلک؟ قلت:الذی عندی أولا:تحدید محل الخلاف،و أنه خاص بترتیب سور الأقسام الأربعة،و أما نفس الأقسام الأربعة،من تقدیم الطوال،ثم المئین،ثم المثانی،ثم المفصل،فهذا ینبغی أن یقطع بأنه توقیفی،و أن یدعی فیه الإجماع،و إن لم أر من سبقنی إلی ذلک.و إنما دعانی إلی هذا أمران:

أحدهما:ما تقدم من الأحادیث قریبا،و حدیث ابن عباس الآتی فی الأنفال.

و الثانی:أن المصاحف التی وقع فیها الاختلاف فی الترتیب اتفقت علی ذلک،فإن مصحف أبی بن کعب و ابن مسعود کلاهما قدم فیه الطوال،ثم المثانی،ثم المفصل،کمصحف عثمان،و إنما اختلفا فی ترتیب سور کل قسم کما بینت فی الإتقان (1) .

فإذا تحرر ذلک،و نظرنا إلی محل الخلاف،فالمختار عندی فی ذلک:

ما قاله البیهقی،و هو:أن ترتیب کل السور توقیفی،سوی الأنفال و براءة.

و مما یدل علی ذلک و یؤیده:توالی الحوامیم،و ذوات(الر)، و الفصل بین المسبحات،و تقدیم(طس)علی القصص،مفصولا بها بین النظیرتین[طسم الشعراء،و طسم القصص]

فی المطلع و الطول،و کذا الفصل بین الانفطار و الانشقاق بالمطففین،و هما نظیرتان فی المطلع و المقصد،و هما أطول منها،فلو لا أنه توقیفی لحکمة،لتوالت المسبحات و أخرت(طس)عن القصص،و أخرت(المطففین)أو قدمت،و لم یفصل بین(الر)و(الر).

1- 1) راجع الاتقان(1/222-224).

و ليس هنا شيء أعارض به سوى اختلاف مصحف أبى و ابن مسعود،و لو كان توقيفيا لم يقع فيهما اختلاف،كما لم يقع فى[ترتيب]

الآيات.

و قد منّ اللّه علىّ بجواب لذلک نفيس،و هو:أن القرآن وقع فيه النسخ كثيرا للرسم،حتى لسور كاملة،و آيات كثيرة،فلا بدع أن يكون الترتيب العثمانى هو الذى استقر فى العرضة الأخيرة،كالقراءات التى فى مصحفه،و لم يبلغ ذلک أبيا و ابن مسعود،كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه فى مصاحفهما من القراءات التى تخالف المصحف العثمانى،و لذلک كتب أبى فى مصحفه سورة الحفد،و الخلع،و هما مسوختان (1) .

فالحاصل أنى أقول:ترتيب كل المصاحف بتوقيف،و استقر التوقيف فى العرضة الأخيرة على القراءات العثمانية،و رتب أولئک على ما كان عندهم،و لم يبلغهم ما استقر،كما كتبوا القراءات المنسوخة المثبتة فى مصاحفهم بتوقيف،و استقر التوقيف فى العرضة الأخيرة على القراءات المنسوخات،و لم يبلغهم النسخ.

1- 1) يقول محقق المطبوعة:-ورد فى الاتقان(226،223/1)عن ابن أشتة فى المصاحف و هما سورتا القنوت فى الوتر،قال الحسين بن المنادى فى كتابه«الناسخ و المنسوخ:و مما رفع رسمه من القرآن و لم يرفع من القلوب حفظه،سورتا القنوت فى الوتر،تسمى بسورتى الخلع و الحفد،الاتقان(85/3)و هى:«اللهم إنا نستعينک،و نستغفرک،و نثنى عليک و لا نكفرک،و نخلع و نترک من يفجرک،اللهم إياک نعبد،و لک نصلى و نسجد،و اليک نسعى و نحفد،نرجو رحمتک،و نخشى عذابک،إن عذابک الجد بالكفار ملحق»و انظر مجمع الزوائد للهيثمى(120/9).أ ه.من حاشية المطبوعة(73).

«سورة الفاتحة»

افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة،لأنها جمعت مقاصد القرآن، لذلک کان من أسمائها:أم القرآن،و أم الکتاب،و الأساس (1) .

فصارت کالعنوان و براعة الاستهلال.

قال الحسن البصری:إن اللّه أودع علوم الکتب السابقة فی القرآن، ثم أودع علوم القرآن فی المفصل،ثم أودع علوم المفصل فی الفاتحة.فمن علم تفسیرها کان کمن علم تفسیر جمیع الکتب المنزلة.أخرجه البیهقی فی شعب الإیمان.

و بیان اشتمالها علی علوم القرآن قرره الزمخشری،باشتمالها علی الثناء علی اللّه بما هو أهله،و علی التعبد،و الأمر و النهی،و علی الوعد و الوعید،و آیات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور.

قال الإمام فخر الدین:المقصود من القرآن کله تقریر أمور أربعة:

الإلهیات،و المعاد،و النبوات،و إثبات القضاء و القدر.فقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ یدل علی الإلهیات،و قوله: مٰالِکِ یَوْمِ الدِّینِ یدل علی نفی الجبر،و علی إثبات أن الکل بقضاء اللّه و قدره.و قوله: اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِیمَ إلی آخر السورة یدل علی إثبات قضاء اللّه،و علی النبوات،فقد اشتملت هذه السورة علی المطالب الأربعة،التی هی المقصد الأعظم من القرآن (2) .

1- 1) الاتقان(1/189-191).

2- 2) التفسیر الکبیر(1/65).

و قال البیضاوی (1) :هی مشتملة علی الحکم النظریة،و الأحکام العملیة،التی هی سلوک الصراط المستقیم،و الاطلاع علی مراتب السعداء،و منازل الأشقیاء.

و قال الطیبی:هی مشتملة علی أربعة أنواع من العلوم التی هی مناط الدین:

أحدها:علم الأصول،و معاقدة معرفة اللّه عزّ و جلّ و صفاته، و إلیها الإشارة بقوله: رَبِّ الْعٰالَمِینَ* اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ .و معرفة المعاد،و هو المومأ إلیه (2) بقوله: مٰالِکِ یَوْمِ الدِّینِ .

و ثانیها:علم ما یحصل به الکمال،و هو علم الأخلاق،و أجله الوصول إلی الحضرة الصمدانیة،و الالتجاء إلی جناب الفردانیة،و السلوک لطریقة الاستقامة فیها،و إلیه الإشارة بقوله: أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَ لاَ الضّٰالِّینَ .

قال:و جمیع القرآن تفصیل لما أجملته الفاتحة،فإنها بنیت علی إجمال ما یحویه القرآن مفصلا،فإنها واقعة فی مطلع التنزیل،و البلاغة فیه:أن تتضمن ما سیق الکلام لأجله،و لهذا لا ینبغی أن یقید شیء من کلماتها ما أمکن الحمل علی الإطلاق (3) .

1- 1) البیضاوی(35/1).

2- 2) المومأ الیه:المشار الیه.

3- 3) الطیبی هو الحسین بن عبد اللّه بن محمد الطیبی،من علماء الحدیث و التفسیر و البیان، أنفق کل ما ورثه فی وجوه الخیر،حتی افتقر آخر عمره،و کان عنیفا علی المبتدعین،شدید الخشیة و الإخبات للّه سبحانه و تعالی توفی سنة 743 ه. راجع کشف الظنون(720/1)و البدر الطالع(229/1)و الدرر الکامنة(/2 68).

و قال الغزالی (1) فی«خواص القرآن» (2) :مقاصد القرآن ستة، ثلاثة مهمة،و ثلاثة تتمة.

الأولی:تعریف المدعو الیه،کما أشیر إلیه بصدرها،و تعریف الصراط المستقیم،و قد صرح به فیها،و تعریف الحال عند الرجوع إلیه تعالی،و هو الآخرة،کما أشیر إلیه بقوله: مٰالِکِ یَوْمِ الدِّینِ .

و الأـخری:تعریف أحوال المطیعین،کما أشار الیه بقوله: اَلَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ .و تعریف منازل الطریق،کما أشیر إلیه بقوله: إِیّٰاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّٰاکَ نَسْتَعِینُ

1- 1) الغزالی هو الإمام الحجة محمد بن محمد بن محمد الغزالی الطوسی،حجة الإسلام، فیلسوف متصوف،له نحو مائتی مصنف ولد سنة 450 ه و توفی سنة 505 ه،و من أهم کتبه:(إحیاء علوم الدین).راجع وفیات الأعیان لابن خلکان(463/1).و طبقات الشافعیة(101/4)و شذرات الذهب(10/4)و الوافی بالوفیات(277/1).

2- 2) خواص القرآن الکریم للغزالی ص 37.

سورة البقرة

قال بعض الأئمة:تضمنت سورة الفاتحة:الإقرار بالربوبية، و الالتجاء إليها فى دين الإسلام،و الصيانة عن دين اليهود و النصارى، و سورة البقرة تضمنت قواعد الدين،و آل عمران مكملة لمقصودها.

فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم،و آل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم،و لهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسک به النصارى.

فأوجب الحج فى آل عمران،و أما فى البقرة فذكر أنه مشروع،و أمر بإتمامه بعد الشروع فيه (1) .و كان خطاب النصارى فى آل عمران،كما أن خطاب اليهود فى البقرة أكثر،لأن التوراة أصل،و الإنجيل فرع لها، و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود و جاهدهم،و كان جهاده للنصارى فى آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرک قبل أهل الكتاب، و لهذا كانت السور المكية فيها الدين الذى اتفق عليه الأنبياء،فخوطب به جميع الناس،و السور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب و المؤمنين،فخوطبوا ب:يا أهل الكتاب،يا بنى اسرائيل،يا أيها الذين آمنوا.

و أما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التى بين الناس،و هى

1- 1) فى قوله تعالى: وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلّٰهِ،فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ [البقرة 196/2] راجع الطبرى،(22/4)و أنظر معنى الإحصار عند العلماء،و اختلافهم فى المانع فى تفسير القرطبى(371/2،372)و البحر المحيط(60/2).

نوعان:مخلوقة للّه،و مقدورة لهم،كالنسب و الصهر،و لهذا افتتحت بقوله: يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا (1) .و قال: وَ اتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحٰامَ ، فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة،و الافتتاح،و براعة الاستهلال،حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما فى أكثر السورة من أحكام:من نكاح النساء و محرماته،و المواريث المتعلقة بالأرحام،و أن ابتداء هذا الأمر بخلق آدم، ثم خلق زوجته منه،ثم بث منهما رجالا كثيرا و نساء فى غاية الكثرة.

أما المائدة فسورة العقود،تضمنت بيان تمام الشرائع،و مكملات الدين،و الوفاء بعهود الرسل،و ما أخذ على الأمة،و نهاية الدين،فهى سورة التكميل،لأن فيها تحريم الصيد على المحرم،الذى هو من تمام الإحرام.و تحريم الخمر،الذى هو من تمام حفظ العقل و الدين.و عقوبة المعتدين من السراق و المحاربين،الذى هو من تمام حفظ الدماء و الأموال، و إحلال الطيبات،الذى هو من تمام عبادة اللّه،و لهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم،و التيمم،و الحكم بالقرآن على كل ذى دين.و لهذا كثر فيها لفظ الإكمال و الإتمام (2) .و ذكر فيها:أن من ارتد عوض اللّه بخير منه،و لا يزال هذا الدين كاملا،و لهذا ورد أنها آخر ما نزل (3) لما فيها من إرشادات الختم و التمام.و هذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب:انتهى.

و قال بعضهم:افتتحت البقرة بقوله: الم ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ فإنه إشارة إلى الصراط المستقيم فى قوله[فى الفاتحة]

:

1- 1) النساء 1/4)راجع الطبرى(523/7)و القرطبى(2/5)البحر المحيط(3/ 157).

2- 2) فى قوله تعالى: اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ،وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاٰمَ دِيناً .

3- 3) الحديث صحيح على شرط الشيخين،أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن معاوية بن صالح عن عائشة(188/6).

اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ .فإنهم لما سألوا[اللّه]

الهداية الى الصـراط المستقيم قيل لهم:ذلک الصراط الذى سألتم الهداية اليه،كما أخرج ابن جرير و غيره من حديث على مرفوعا:«الصراط المستقيم كتاب اللّه» (1) .

و أخرجه الحاكم فى المستدرک عن ابن مسعود موقوفا.

و هذا معنى حسن يظهر فيه سر ارتباط البقرة بالفاتحة.

و قال الخويى (2) :أوائل هـذه السورة مناسـبة لأواخر سورة الفاتحة، لأن اللّه تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى،قال:قد أعطيتكم ما طلبتم:هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه،و قد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسئول.

ثم إنه ذكر فى أوائل هـذه السورة الطوائف الثلاث الـذين ذكرهم فى الفاتحـة:فذكر الذين على هدى من ربهم،و هم المنعم عليهم.و الذين اشتروا الضلالة بالهدى،و هم الضالون:و الذين باءوا بغضب من اللّه، و هم المغضوب عليهم (3) .انتهى.

أقول:قد ظهرت لى بحمد اللّه وجوه من هذه المناسبات:

أحدها:أن القاعدة التى استقر بها القرآن:أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها،و شرح له،و إطناب لإيجازه.و قد استقر معى ذلک فى غالب سور القرآن،طويلها و قصيرها.و سورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة.

فقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ .تفصيله:ما وقع فيها من الأمر بالذكر فى

1- 1) أخرجه ابن جرير عن على من حديث حمزة الزيات.أ ه.من المطبوعة.

2- 2) هو أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر أبو العباس،توفى سنة 627 ه.

3- 3) و ذكر السيوطى فى الاتقان(12،7/2)و(29/3)و(144/4)أن له تفسيرا للقرآن،لكن لا أعرف عنه شيئا،و قد سألت كثيرا من أصدقائى من العلماء فلم يعرفوا هم أيضا ذلک.

عدة آيات و من الدعاء فى قوله: أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذٰا دَعٰانِ (1) [186]

الآية.و فى قوله: رَبَّنٰا لاٰ تُؤٰاخِذْنٰا إِنْ نَسِينٰا أَوْ أَخْطَأْنٰا رَبَّنٰا وَ لاٰ تَحْمِلْ عَلَيْنٰا إِصْراً كَمٰا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنٰا رَبَّنٰا وَ لاٰ تُحَمِّلْنٰا مٰا لاٰ طٰاقَةَ لَنٰا بِهِ وَ اعْفُ عَنّٰا وَ اغْفِرْ لَنٰا وَ ارْحَمْنٰا أَنْتَ مَوْلاٰنٰا فَانْصُرْنٰا عَلَى الْقَوْمِ الْكٰافِرِينَ [286]

.و بالشكر فى قوله: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لاٰ تَكْفُرُونِ [152]

.

و قوله: رَبِّ الْعٰالَمِينَ تفصيله قوله: اُعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرٰاشاً وَ السَّمٰاءَ بِنٰاءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلاٰ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدٰاداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [21،22]

.و قوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمٰاءِ فَسَوّٰاهُنَّ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [29]

.و لذلک افتتحها بقصة خلق آدم الذى هو مبدأ البشر (2)،و هو أشرف الأنواع من العالمين،و ذلک شرح لإجمال رَبِّ الْعٰالَمِينَ .

و قوله: اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ .قد أومأ إليه بقوله فى قصة آدم:

فَتٰابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوّٰابُ الرَّحِيمُ [54]

.و فى قصة إبراهيم لما سأل الرزق للمؤمنين خاصة[بقوله: وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرٰاتِ مَنْ آمَنَ [126]

.فقال وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً [126]

.

و ذلک لكونه رحمانا.و ما وقع فى قصة بنى اسرائيل: ثُمَّ عَفَوْنٰا عَنْكُمْ [52]

إلى أن أعاد الآية بجملتها فى قوله: لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ [163]

.و ذكر آية الدين (3) إرشادا للطالبين من العباد،و رحمة بهم.و وضع عنهم الخطأ و النسيان و الإصر و ما لا طاقة لهم

1- 1) البقرة(186/2)راجع تأويل مشكل القرآن ص 177،و تفسير غريب القرآن ص 74

2- 2) راجع جامع البيان للطبرى(137/6)و مجاز القرآن ص 84.

3- 3) و هى قوله تعالى: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا تَدٰايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ راجع القرطبى(388/3).

به،و ختم بقوله: وَ اعْفُ عَنّٰا وَ اغْفِرْ لَنٰا وَ ارْحَمْنٰا [286]

.و ذلک شرح قوله: اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ .

و قوله: مٰالِکِ يَوْمِ الدِّينِ (1) .تفصيله:ما وقع من ذکر يوم القيامة فی عدة مواضع،و منها قوله: إِنْ تُبْدُوا مٰا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْکُمْ بِهِ اللّٰهُ [284]

.و الدين[فی الفاتحة]

:الحساب[فی البقرة]

و قوله: إِيّٰاکَ نَعْبُدُ مجمل شامل لجميع أنواع الشريعة الفروعية،و قد فصلت فی البقرة أبلغ تفصيل،فذکر فيها:الطهارة، و الحيض،و الصلاة،و الاستقبال،و طهارة المکان،و الجماعة،و صلاة الخوف،و صلاة الجمع،و العيد،و الزکاة بأنواعها،کالنبات،و المعادن، و الاعتکاف،و الصوم و أنواع الصدقات،و البر،و الحج،و العمرة، و البيع،و الإجارة،و الميراث،و الوصية،و الوديعة،و النکاح، و الصداق،و الطلاق،و الخلع،و الرجعة،و الإيلاء،و العدة،و الرضاع، و النفقات،و القصاص،و الديات،و قتال البغاة و الردة،و الأشربة، و الجهاد،و الأطعمة و الذبائح،و الأيمان،و النذور،و القضاء، و الشهادات،و العتق.

فهذه أبواب الشريعة کلها مذکورة فی هذه السورة.

و قوله: وَ إِيّٰاکَ نَسْتَعِينُ .شامل لعلم الأخلاق.و قد ذکر منها فی هذه السورة الجم الغفير،من التوبة،و الصبر،و الشکر،و الرضی، و التفويض،و الذکر،و المراقبة،و الخوف،و إلانة القول.

و قوله: اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ إلی آخره.تفصيله:ما وقع

1- 1) و يوم الدين:يوم القيامة،و سمی بذلک لأنه يوم الجزاء،و يوم الحساب،و منه يقال دنته بما صنع،أی جازيته،و يقال فی مثل:«کما تدين تدان»يراد به کما تصنع يصنع بک، و کما تجازی تجازی.راجع المثل فی مجمع الأمثال للميدانی(155/2)و جمهرة الأمثال ص 169.

فی السورة من ذکر طریق الأنبیاء،و من حاد عنهم من النصاری،و لهذا ذکر فی الکعبة أنها قبلة إبراهیم،فهی من صراط الذین أنعم علیهم، و قد حاد عنها الیهود و النصاری معا،و لذلک قال فی قصتها: یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ [142]

.تنبیها علی أنها الصراط الذی سألوا الهدایة إلیه.

ثم ذکر: وَ لَئِنْ أَتَیْتَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتٰابَ بِکُلِّ آیَةٍ مٰا تَبِعُوا قِبْلَتَکَ [145]

.و هم المغضوب علیهم و الضالون الذین حادوا عن طریقهم.ثم أخبر بهدایة الذین آمنوا إلی طریقهم.ثم قال: وَ اللّٰهُ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ [213]

.فکانت هاتان الآیتان تفصیل إجمال اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِیمَ إلی آخر السورة.

و أیضا قوله أول السورة: هُدیً لِلْمُتَّقِینَ [2]

إلی آخره فی وصف الکتاب،إخبار بأن الصراط الذی سألوه الهدایة إلیه هو:ما تضمنه الکتاب،و إنما یکون هدایة لمن اتصف بما ذکر[من صفات المتقین]

.ثم ذکر أحوال الکفرة،ثم أحوال المنافقین،و هم من الیهود، و ذلک تفصیل لمن حاد عن الصراط المستقیم،و لم یهتد بالکتاب.

و کذلک قوله: قُولُوا آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَیْنٰا وَ مٰا أُنْزِلَ إِلیٰ إِبْرٰاهِیمَ وَ إِسْمٰاعِیلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ الْأَسْبٰاطِ [136]

الآیة.فیه تفصیل النبیین المنعم علیهم.و قال فی آخرها: لاٰ نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ [136]

.تعریفا بالمغضوب علیهم و الضالین الذین فرقوا بین الأنبیاء.و لذلک عقبها بقوله:

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مٰا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا [137]

.أی:إلی الصراط المستقیم،صراط المنعم علیهم کما اهتدیتم.

فهذا ما ظهر لی،و اللّه أعلم بأسرار کتابه.

الوجه الثانی:أن الحدیث و الإجماع علی تفسیر المغضوب علیهم

باليهود،و الضالين بالنصارى (1) ،و قد ذكروا فى سورة الفاتحة على حسب ترتيبهم فى الزمان،فعقب بسورة البقرة،و جميع ما فيها[من]

خطاب أهل الكتاب لليهود خاصة،و ما وقع فيها من ذكر النصارى لم يقع بذكر الخطاب (2) .

ثم[عقبت البقرة]

بسورة آل عمران،و أكثر ما فيها من خطاب أهل الكتاب للنصارى،فإن ثمانين آيـة من أولها نازلـة فى وفد نصارى نجران،كما ورد فى سـبب نزولها (3) .و ختمت بقوله: وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ [199]

.و هى فى النجاشى و أصحابه من مؤمنى النصارى،كما ورد به الحديث (4) .و هذا وجه بديع فى ترتيب السورتين، كأنه لما ذكر فى الفاتحة الفريقين،قص فى كل سورة مما بعدها حال كل فريق على الترتيب الواقع فيها،و لهذا كان صدر سورة النساء فى ذكر اليهود،و آخرها فى ذكر النصارى (5) .

الـوجه الثـالث:أن سـورة البقرة أجمـع سـور القرآن للأحكـام و الأمثـال،و لهـذا سـمـيت فى أثر:فسـطاط القرآن (6) .الـذى هو:المدينة الجامعة،فناسب تقديمها على جميع سوره.

1- 1) راجع تفسير ابن كثير للإمام أبى الفداء اسماعيل بن كثير(46/1).

2- 2) بل جاء على أسـلوب الخبر،مثل قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هٰادُوا وَ النَّصٰارىٰ وَ الصّٰابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ [62] و قوله تعالى: وَ قٰالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاّٰ مَنْ كٰانَ هُوداً أَوْ نَصٰارىٰ [111] الآية.

3- 3) راجع أسباب النزول ص 69.

4- 4) راجع البخارى(108/2)و مسلم(54/3)و ما بعدها.

5- 5) و ذلک قوله فى سورة النساء: مِنَ الَّذِينَ هٰادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوٰاضِعِهِ [46] و الآخر فى قوله: يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ لاٰ تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ،وَ لاٰ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ،إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ الآية[171] . يقول الإمـام الطبرى:«يقول:لا تجاوزوا الحق فى دينكم فتفرطوا فيه،و لا تقولوا فى عيسى غير الحق».راجع تفسير«جامع البيان»(415/9).

6- 6) أخرجه الإمام الدارمى عن خالد بن معدان(466/2).

الوجه الرابع:أنها أطول سورة فی القرآن،و قد افتتح بالسبع الطوال (1) ،فناسب البداءة بأطولها.

الوجه الخامس:أنها أول سورة نزلت بالمدينة،فناسب البداءة بها، فإن للأولية نوعا من الأولوية.

الوجه السادس:أن سورة الفاتحة كما ختمت بالدعاء للمؤمنين بألا يسلک بهم طريق المغضوب عليهم و لا الضالين إجمالا،ختمت سورة البقرة بالدعاء بألا يسلک بهم طريقهم فی المؤاخذة بالخطإ و النسيان،و حمل الإصر،و ما لا طاقة لهم به تفصيلا،و تضمنت آخرها أيضا الإشارة إلی طريق المغضوب عليهم و الضالين بقوله: لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [285]

فتآخت السورتان و تشابهتا فی المقطع،و ذلک من وجوه المناسبة فی التتالی و التناسق.و قد ورد فی الحديث التأمين فی آخر سورة البقرة كما هو مشروع فی آخر الفاتحة (2) ،فهذه ستة وجوه ظهرت لی،و للّه الحمد و المنة.

1- 1) السبع الطوال:هی:البقرة،و آل عمران،و النساء،و المائدة،و الأنعام،و الأعراف، و يونس

2- 2) و كان معاذ بن جبل يقول(آمين)آخر البقرة كما أخرجه ابن جرير،راجع تفسير الإمام ابن كثير(509/1).

سورة آل عمران

قد تقدم ما يؤخذ منه مناسبة وضعها.

قال الإمام:لما كانت هذه السورة قرينة سورة البقرة،و كالمكملة لها،افتتحت بتقرير ما افتتحت به تلك،و صرح فى منطوق مطلعها بما طوى فى مفهوم تلك (1) .

و أقول:قد ظهر لى بحمد اللّه وجوه من المناسبات:

أحدها:مراعاة القاعدة التى قررتها،من شرح كل سورة لإجمال ما فى السورة قبلها،و ذلك هنا فى عدة مواضع منها:ما أشار اليه الإمام،فإن أول البقرة افتتح بوصف الكتاب بأنه لا ريب فيه.و قال فى آل عمران: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ [3]

:و ذاك بسط و إطناب،لنفى الريب عنه.

و منها:أنه ذكر فى البقرة إنزال الكتاب مجملا،و قسمه هنا إلى آيات محكمات،و متشابهات لا يعلم تأويلها إلا اللّه (2) .

و منها:أنه قال فى البقرة: وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ [3]

،و قال

1- 1) لأن مطلع البقرة وصف المتقين بأنهم الذين يؤمنون بالغيب،و هو مناسب لما ورد فى أول هذه السورة من قوله تعالى: اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ [2] .

2 - 2) و ذلك فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ مِنْهُ آيٰاتٌ مُحْكَمٰاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتٰابِ وَ أُخَرُ مُتَشٰابِهٰاتٌ [7] راجع الطبرى(197/6).

هنا: وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنّاسِ [3،4]

مفصلا.و صرح بذكر الإنجيل هنا،لأن السورة خطاب للنصارى،و لم يقع التصريح به فى سورة البقرة بطولها،و إنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة،لأنها خطاب لليهود.

و منها:أن ذكر القتال وقع فى سورة البقرة مجملا بقوله: وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ [190،244]

[و قوله]

: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ [216]

.و فصلت هنا قصة أحد بكمالها (1) .

و منها:أنه أوجز فى البقرة ذكر المقتولين فى سبيل اللّه بقوله:

أَحْياءٌ وَ لٰكِنْ لا تَشْعُرُونَ و زاد هنا: عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ [170]

الآيتين.و ذلك إطناب عظيم.

و منها:أنه قال فى البقرة: وَ اللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ [247]

.

و قال هنا: قُلِ اللّٰهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [26]

.فزاد إطنابا و تفصيلا.

و منها:أنه حذر من الربا فى البقرة،و لم يزد على لفظ الربا إيجازا (2) .و زاد هنا[قوله]

: أَضْعٰافاً مُضٰاعَفَةً [130]

.و ذلك بيان و بسط.

و منها:أنه قال فى البقرة: وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ [196]

و ذلك إنما

1 – 1) فی قوله تعالی: وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ إلی قوله تعالی: وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ [آل عمران–152–158] .راجع جامع البیان للطبری (306/7)و الدر المنثور(87/1).

2– 2) و ذلک فی قوله تعالی: اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰا لاٰ يَقُومُونَ إِلاّٰ كَمٰا يَقُومُ الَّذِی يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰانُ مِنَ الْمَسِّ [البقرة 275/2] .

يدل على الوجوب إجمالا.و فصله هنا بقوله: وَ لِلّٰهِ عَلَى النّٰاسِ حِجُّ الْبَيْتِ [97]

و زاد:بيان شرط الوجوب بقوله: مَنِ اسْتَطٰاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً [97]

.ثم زاد:تكفير من جحد وجوبه بقوله: وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰالَمِينَ [97]

.

و منها:أنه قال فى البقرة فى أهل الكتاب: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاّٰ قَلِيلاً مِنْكُمْ [83]

.فأجمل القليل،و فصله هنا بقوله: لَيْسُوا سَوٰاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ أُمَّةٌ قٰائِمَةٌ يَتْلُونَ آيٰاتِ اللّٰهِ آنٰاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ [113]

.الآيتين.

و منها:أنه قال فى البقرة: قُلْ أَ تُحَاجُّونَنٰا فِي اللّٰهِ وَ هُوَ رَبُّنٰا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنٰا أَعْمٰالُنٰا وَ لَكُمْ أَعْمٰالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ [193]

.فدل بها على تفضيل هذه الأمة على اليهود تعريضا لا تصريحا و كذلك قوله: وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً [143]

.فى تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم بلفظ فيه يسير إبهام،و أتى فى هذه بصريح البيان فقال: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّٰاسِ [110]

.فقوله: كُنْتُمْ .أصرح فى قدم ذلك من جَعَلْنٰاكُمْ .ثم زاد وجه الخيرية بقوله: تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ [110]

. (1)

و منها:أنه قال فى البقرة: وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوٰالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبٰاطِلِ وَ تُدْلُوا بِهٰا إِلَى الْحُكّٰامِ [188]

.الآية.و بسط الوعيد هنا بقوله:

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَ أَيْمٰانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ [77]

.الآية،و صدره بقوله: وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ لَمَنْ

1- 1) و قد ذكر الحق تبارک و تعالى الصراط المستقيم مجملا فى سورة البقرة بقوله: ذٰلِكَ الْكِتٰابُ و سبقها فى الفاتحة،ثم عين طريقة السير عليه فى آل عمران فى قوله تعالى: وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ [101] .راجع جامع البيان للطبرى (84/7)و ما بعدها.

إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطٰارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْکَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينٰارٍ لاٰ يُؤَدِّهِ إِلَيْکَ إِلاّٰ مٰا دُمْتَ عَلَيْهِ قٰائِماً ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا لَيْسَ عَلَيْنٰا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ [75]

.

فهذه عدة مواضع وقعت فى البقرة مجملة،و فى آل عمران تفصيلها.

الوجه الثانى:أن بين هـذه السورة و سورة البقرة اتحادا،و تلاحما متأكـدا،لما تقدم من أن البقرة بمنزلة إزالة الشـبهة،و لهذا تكرر هنا ما يتعلق بالمقصود الـذى هو بيان حقيقة الكتاب:من إنزال الكتاب، و تصديقه للكتب قبله،و الهدى إلى الصـراط المسـتقيم (1) .و تكررت هنا آية: قُولُوا آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ مٰا أُنْزِلَ [136]

.بكمالها،و لذلک أيضا ذكر فى هذه ما هو تال لما ذكر فى تلک،أو لازم فى تلک،أو لازم له.

فـذكر هناک خلق الناس،و ذكر هنا تصويرهم فى الأرحام (2) .و ذكر هناک مبـدأ خلق آدم،و ذكر هنا مبـدأ خلق أولاده (3) .و ألطف من ذلک:

أنه افتتح البقرة بقصة آدم حيث خلقه من غير أب و لا أم،و ذكر فى هذه نظيره فى الخلق من غير أب،و هو عيسـى عليه السـلام (4) ،و لذلک ضرب لـه المثـل بـآدم،و اختصـت البقرة بـآدم،لأنهـا أول السـور،و آدم أول فى الوجـود و سـابق،و لأنهـا الأصـل،و هـذه كـالفرع و التتمة لها،فمختصة بالإعراب[و البيان]

.

1- 1) لقوله فى أول آل عمران: نَزَّلَ عَلَيْکَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ،وَ أَنْزَلَ التَّوْرٰاةَ وَ الْإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنّٰاسِ،وَ أَنْزَلَ الْفُرْقٰانَ [3،4] .

2- 2) فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحٰامِ كَيْفَ يَشٰاءُ،لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ [61] . راجع الطبرى(474/6)و اللسان(76/13).

3- 3) و قـد ذكر جل شأنه خلق آدم فى البقرة فى قوله تعالى: إِنِّي جٰاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً [30] .و ورد خلـق بنى آدم فى آل عمران لقوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحٰامِ كَيْفَ يَشٰاءُ [6] .

4- 4) و ذلک فى قوله تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ،ثُمَّ قٰالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [59] .

و لأنها خطاب لليهود الذين قالوا فى مريم ما قالوا،و أنكروا وجود ولد بلا أب،ففوتحوا بقصة آدم،لتثبت فى أذهانهم،فلا تأتى قصة عيسى إلا و قد ذكر عندهم ما يشبهها من جنسها.

و لأن قصة عيسى قيست على قصة آدم فى قوله: كَمَثَلِ آدَمَ [59]

الآية،و المقيس عليه لا بد و أن يكون معلوما،لتتم الحجة بالقياس،فكانت قصة آدم و السورة التى هى فيها جديرة بالتقدم.

و من وجوه تلازم السورتين:أنه قال فى البقرة فى صفة النار:

أُعِدَّتْ لِلْكٰافِرِينَ [24]

،و لم يقل فى الجنة:أعدت للمتقين،مع افتتاحها بذكر المتقين و الكافرين معا،و قال ذلك فى آخر آل عمران فى قوله: جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [133]

.

فكأن السورتين بمنزلة سورة واحدة.

و بذلك يعرف أن تقديم آل عمران على النساء أنسب من تقديم النساء عليها.

و أمر آخر استقرأته،و هو:أنه إذا وردت سورتان بينهما تلازم و اتحاد،فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الاتحاد.و فى السورة المستقلة عما بعدها يكون آخر السورة نفسها مناسب لأولها.و آخر آل عمران مناسب لأول البقرة،فإنها افتتحت بذكر المتقين، و أنهم المفلحون،و ختمت آل عمران بقوله: وَ اتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [200]

.

و افتتحت البقرة بقوله: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْکَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ [4]

و ختمت آل عمران بقوله: وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ [199]

.فلله الحمد على ما ألهم.

و قد ورد أنه لما نزلت: مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً

[2:245].قال اليهود:يا محمد،افتقر ربک،فسأل القرض عباده،فنزل قوله: لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الّذِينَ قٰالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيٰاءُ [3:181]

.فذلک أيضا من تلازم السورتين.

و وقع فی البقرة حکاية عن إبراهيم: رَبَّنٰا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِکَ [129]

الآية.و نزل فی هذه: لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ [164].

و ذلک أيضا من تلازم السورتين.

سورة النساء

تقدمت وجوه مناسبتها.

و أقول:هذه السورة أيضا شارحة لبقية مجملات سورة البقرة.

فمنها:أنه أجمل فى البقرة قوله: اُعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (1) .[121]

.و زاد هنا: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا وَ بَثَّ مِنْهُمٰا رِجٰالاً كَثِيراً وَ نِسٰاءً .

و انظر لما كانت آية التقوى فى سورة البقرة غاية،جعلها فى أول هذه السورة التالية لها مبدأ (2) .

و منها:أنه أجمل فى سورة البقرة: اُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ [35]

.و بين هنا أن زوجته خلقت منه فى قوله: وَ خَلَقَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا [1]

.

و منها:أنه أجمل فى البقرة آية اليتامى،و آية الوصية،و الميراث، و الوارث،فى قوله: وَ عَلَى الْوٰارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ [233]

.و فصل ذلك فى هذه السورة أبلغ تفصيل (3) .

1- 1) راجع تفسير الآية فى الدر المنثور(122/2).

2- 2) آية التقوى فى البقرة هى ذٰلِكَ الْكِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ [2] .و هنا قصر الهداية بالقرآن على المتقين،و فى سورة النساء أمر بالتقوى فى قوله تعالى: اِتَّقُوا رَبَّكُمُ... الآية[1] .و وضح و جلىّ وسائل تحقيقها فى ذات الآية.

3- 3) فى سورة النساء الآيات(176،33،12،11،7).

و فصل هنا من الأنكحة ما أجمله هناک،فإنه قال فی البقرة:

وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ [221]

فذكر نكاح الأمة إجمالا، و فصل هنا شروطه (1) .

و منها:أنه ذكر الصداق فی البقرة مجملا بقوله: وَ لاٰ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمّٰا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً [229]

.و شرحه هنا مفصلا (2) .

و منها:أنه ذكر هناک بالخلع،و ذكر هنا أسبابه و دواعيه،من النشوز و ما يترتب عليه،و بعث الحكمين (3) .

و منها:أنه فصل هنا من أحكام المجاهدين،و تفضيلهم درجات، و الهجرة،ما وقع هناک مجملا،أو مرموزا (4) .

و فيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة:تفسير: اَلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ .بقوله: مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِينَ [69]

.

و أما وجه اعتلاقها بآل عمران فمن وجوه:

منها:أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى (5) ،و افتتحت هذه

1- 1) فی الآية 25 من النساء.

2- 2) فی قوله تعالی: وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدٰالَ زَوْجٍ مَكٰانَ زَوْجٍ إلی قوله تعالی: وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثٰاقاً غَلِيظاً [20-21] ..

3- 3) الآية فی البقرة(229)و فی النساء(34،35).

4- 4) قال تعالی فی سورة النساء: لاٰ يَسْتَوِی الْقٰاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِی الضَّرَرِ، وَ الْمُجٰاهِدُونَ فِی سَبِيلِ اللّٰهِ إلی قوله: وَ كٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً [95-99] و قال فی البقرة: وَ لاٰ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِی سَبِيلِ اللّٰهِ أَمْوٰاتٌ،بَلْ أَحْيٰاءٌ [154] الآية.و قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتٰالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ [الآية 216] .و قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِی سَبِيلِ اللّٰهِ،أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّٰهِ الآية[218] .من حاشية المطبوعة بتصرف.

5- 5) فی قوله تعالی: وَ اتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ آخر آل عمران.

السورة به (1) .و هذا من أكبر وجوه المناسبات فی ترتیب السور،و هو نوع من البدیع یسمی:تشابه الأطراف.

و منها أن سورة آل عمران ذکر فیها قصة أحد مستوفاة،و ذکر فی هذه السورة ذیلها،و هو قوله: فَمٰا لَکُمْ فِی الْمُنٰافِقِینَ فِئَتَیْنِ [88]

.

فإنها نزلت لما اختلف الصحابة فیمن رجع من المنافقین من غزوة أحد،کما فی الحدیث (2) .

و منها:أن فی آل عمران ذکرت الغزوة التی بعد أحد بقوله:

اَلَّذِینَ اسْتَجٰابُوا لِلّٰهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مٰا أَصٰابَهُمُ الْقَرْحُ [172]

(3) .

و أشیر إلیها هنا بقوله: وَ لاٰ تَهِنُوا فِی ابْتِغٰاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَکُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ یَأْلَمُونَ کَمٰا تَأْلَمُونَ [204]

الآیة (4) .

و بهذین الوجهین عرف أن تأخیر النساء عن آل عمران أنسب من تقدیمها علیها فی مصحف ابن مسعود،لأن المذکور هنا ذیل ما فی آل عمران،و لاحقه و تابعه،فکانت بالتأخیر أنسب.

و منها:أنه ذکر فی آل عمران قصة خلق عیسی بلا أب،و أقیمت له الحجة بآدم،و فی ذلک تبرئة لأمه،خلافا لما زعم الیهود،و تقریرا لعبودیته،خلافا لما ادعته النصاری،و ذکر فی هذه السورة الرد علی الفریقین معا:فرد علی الیهود بقوله: وَ قَوْلِهِمْ عَلیٰ مَرْیَمَ بُهْتٰاناً عَظِیماً [156]

.و علی النصاری بقوله: لاٰ تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ وَ لاٰ تَقُولُوا عَلَی اللّٰهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ رَسُولُ اللّٰهِ وَ کَلِمَتُهُ أَلْقٰاهٰا إِلیٰ مَرْیَمَ

1- 1) و فی النساء: وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِی تَسٰائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحٰامَ أول السورة.

2- 2) أخرجه البخاری(59/6)و مسلم(128/8)و انظر البحر المحیط(311/3).

3- 3) راجع البخاری فی صحیحه(130/5).

4- 4) و هنا فی هذه الآیة عموم،و لکن فی سورة(محمد)تخصیص لأن ثمة واقعة خاصة فی قوله تعالی: فَلاٰ تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَی السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّٰهُ مَعَکُمْ وَ لَنْ یَتِرَکُمْ أَعْمٰالَکُمْ [محمد-35] .

وَ رُوحٌ مِنْهُ إلى قوله: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ [191-271]

.

و منها:أنه لما ذكر فى آل عمران: إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَ رٰافِعُكَ إِلَىَّ [55]

.رد هنا على من زعم قتله بقوله: وَ قَوْلِهِمْ إِنّٰا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّٰهِ وَ مٰا قَتَلُوهُ وَ مٰا صَلَبُوهُ وَ لٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاّٰ اتِّبٰاعَ الظَّنِّ وَ مٰا قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ [157-158]

.

و منها:أنه لما قال فى آل عمران فى المتشابه: وَ الرّٰاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّٰا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنٰا [7]

.قال هنا: لٰكِنِ الرّٰاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ [162]

الآية.

و منها:أنه لما قال فى آل عمران: زُيِّنَ لِلنّٰاسِ حُبُّ الشَّهَوٰاتِ مِنَ النِّسٰاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنٰاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الـذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعٰامِ وَ الْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتٰاعُ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا [14]

الآية.فصل هذه الأشـياء فى السورة التى بعدها على نسق ما وقعت فى الآية،ليعلم ما أحل اللّه من ذلک فيقتصـر عليه،و ما حرم فلا يتعدى إليه،لميل النفس إليه.

فقد جاء فى هذه السورة أحكام النساء،و مباحاتها (1) ،للابتداء بها فى الآية السابقة فى آل عمران،و لم يحتج إلى تفصيل البنين،لأن تحريم البنين لازم،لا يترک منه شـىء كما يترک من النساء،فليس فيهم مباح فيحتاج إلى بيانه،و مع ذلک أشير اليهم فى قوله: وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعٰافاً خٰافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّٰهَ وَ لْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً [9]

.

1- 1) قـال تعالى فى سورة البقرة: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ إجمالا من غير تفصـيل،ثم قال: إِنَّمٰا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَـةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مٰا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّٰهِ، فَمَنِ اضْـطُرَّ غَيْرَ بٰاغٍ وَ لاٰ عٰادٍ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ [172-173] .و لكنه فى المائدة يقول: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ ...إلى قوله عز من قائل: وَ طَعٰامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ حِلٌّ لَكُمْ،وَ طَعٰامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ [3-5] .

ثم فصل فی سورة المائـدة أحكام السـراق،و قطاع الطرق، لتعلقهم بالـذهب و الفضـة الواقعين فی الآية بعد النساء و البنين.و وقع فی سورة النساء إشارة إلى ذلک فی قسمة المواريث.

ثم فصل فی سورة الأنعام أمر الحيوان و الحرث،و هو بقية المذكور فی آية آل عمران،فانظر إلى هذه اللطيفة التی منّ اللّه بإلهامها!.

ثم ظهر لی أن سورة النسـاء فصـل فيهـا ذكر البنين أيضا،لأنه لما أخبر بحب الناس لهم،و كان من ذلک إيثارهم على البنات فی الميراث، و تخصيصهم به دونهن،تولى قسمة المواريث بنفسه،فقال: يُوصِيكُمُ اللهُ فِی أَوْلاٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ [11]

.و قال: لِلرِّجٰالِ نَصِيبٌ مِمّٰا تَرَكَ الْوٰالِدٰانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسٰاءِ نَصِيبٌ [7]

.فرد على مـا كـانوا يصـنعون من تخصـيص البنين بـالميراث،لحبهم لهم،فكـان ذلـک تفصـيلا لما يحل و يحرم من إيثار البنين،اللازم عن الحب،و فی ضمن ذلک تفصيل لما يحل للذكر أخذه من الذهب و الفضة،و ما يحرم.

و من الوجوه المناسبة لتقدم آل عمران على النساء:اشتراكها مع البقرة فی الافتتاح بانزال الكتاب،و فی الافتتاح ب الم و سائر السور المفتتحة بالحروف المقطعـة كلها مقترنة،كيونس و تواليها،و مريم و طه، و الطواسـين،و الم العنكبوت و تواليها،و الحواميم،و فی ذلک أول دليل على اعتبار المناسبة فی الترتيب بأوائل السور.

و لـم يفرق بين السورتين من ذلـک بمـا ليس مبـدوءا به سوى بين الأعراف و يونس اجتهادا لا توقيفا،و الفصل بالزمر بين(حم)غافر و (ص)و سيأتی.

و من الوجوه فی ذلـک أيضـا:اشتراكهمـا فی التسـمية بالزهراوين فی حـديث:«اقرءوا الزهراوين:البقرة و آل عمران».فكان افتتاح القرآن بهما نظير اختتامه بسورتی الفلق و الناس،و المشتركتين فی التسمية بالمعوذتين.

سورة المائدة

و قد تقدم وجه فى مناسبتها:

و أقول:هذه السورة أيضا شارحة لبقية مجملات سورة البقرة،فإن آية الأطعمة و الذبائح فيها أبسط منها فى البقرة (1) .و كذا ما أخرجه الكفار تبعا لآبائهم فى البقرة موجز (2) .و فى هذه السورة مطنب أبلغ إطناب فى قوله: مٰا جَعَلَ اللّٰهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لاٰ سٰائِبَةٍ [103،104]

.

و فى البقرة ذكر القصاص فى القتلى (3) .و هنا ذكر أول من سن القتل،و السبب الذى لأجله وقع،و قال: مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنٰا عَلىٰ بَنِى إِسْرٰائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسٰادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمٰا قَتَلَ النّٰاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْيٰاهٰا فَكَأَنَّمٰا أَحْيَا النّٰاسَ جَمِيعاً [32]

.و ذلك أبسط من قوله[فى البقرة]

: وَ لَكُمْ فِى الْقِصٰاصِ حَيٰاةٌ [179]

.

و فى البقرة: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ [58]

.و ذكر فى

1- 1) قال فى البقرة(168/2): يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ .

2- 1) قال فى البقرة(168/2): يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ .

3- يقول محقق المطبوعة : « من دلائل الترتيب أنه قال : (كتب عليكم القصاص في القتلى) في البقرة [178] ثم زاده بياناً في نفس السورة فقال : (ولكم في القصاص حياة) [١٧٩] ثم قال : (والحرمات قصاص) [١٩٤] . ثم ذكر قتل الخطأ والنسيان في النساء فقال : (ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة) [٩٢] وزاد تفصيل القصاص فيما ساقه المؤلف في الآية (32) من المائدة . ثم فصل أحكام القصاص في قوله : وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ، والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن ، والجروح قصاص) [المائدة - ٤٥] . وهذا تدرج بديع يدل على احكام الترتيب والتلاحم . أه

قصتها هنا: فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ [54]

.

و فی البقرة قصة الأیمان (1) موجزة،و زاد هنا بسطا بذکر الکفارة (2) .

و فی البقرة قال فی الخمر و المیسر: فِیهِمٰا إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنٰافِعُ لِلنّٰاسِ وَ إِثْمُهُمٰا أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمٰا [219]

.و زاد فی هذه السورة ذمهما،و صرّح بتحریمهما.

و فیها من الاعتلاق بسورة الفاتحة:بیان المغضوب علیهم و الضالین فی قوله: قُلْ هَلْ أُنَبِّئُکُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِکَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَ غَضِبَ عَلَیْهِ [60]

.الآیة.و قوله: قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا کَثِیراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَوٰاءِ السَّبِیلِ [77]

.

و أما اعتلاقها بسورة النساء،فقد ظهر لی فیه وجه بدیع جدا.

و ذلک أن سورة النساء اشتملت علی عدة عقود صریحا و ضمنا،فالصریح:

عقود الأنکحة،و عقد الصداق،و عقد الحلف،فی قوله: وَ الَّذِینَ عَقَدَتْ أَیْمٰانُکُمْ فَآتُوهُمْ نَصِیبَهُمْ [33]

.و عقد الأیمان فی هذه الآیة.

و بعد ذلک عقد المعاهدة و الأمان فی قوله: إِلاَّ الَّذِینَ یَصِلُونَ إِلیٰ قَوْمٍ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ مِیثٰاقٌ [90]

.و قوله: وَ إِنْ کٰانَ مِنْ قَوْمٍ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَهُمْ مِیثٰاقٌ فَدِیَةٌ [92]

.

و الضمنی:عقد الوصیة،و الودیعة،و الوکالة،و العاریة، و الإجارة،و غیر ذلک من الداخل فی عموم قوله: إِنَّ اللهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلیٰ أَهْلِهٰا [58]

.فناسب أن یعقب بسورة مفتتحة

1- 1) لقوله تعالی: لاٰ یُؤٰاخِذُکُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمٰانِکُمْ،وَ لٰکِنْ یُؤٰاخِذُکُمْ بِمٰا کَسَبَتْ قُلُوبُکُمْ [225/2].

2- 2) و هو قوله تعالی: لاٰ یُؤٰاخِذُکُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِی أَیْمٰانِکُمْ،وَ لٰکِنْ یُؤٰاخِذُکُمْ بِمٰا عَقَّدْتُمُ الْأَیْمٰانَ فَکَفّٰارَتُهُ إِطْعٰامُ عَشَرَةِ مَسٰاکِینَ [89/5].

بالأمر بالوفاء بالعقود.فكأنه قيل[فى المائدة]

: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [1]

التى فرغ من ذكرها فى السورة التى تمت.فكان ذلک غاية فى التلاحم و التناسب و الارتباط.

و وجه آخر فى تقديم سورة النساء،و تأخير سورة المائدة،و هو:أن تلک أولها: يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ [1]

و فيها الخطاب بذلک فى مواضع، و هو أشبه بخطاب المكى،و تقديم العام و شبه المكى أنسب.

ثم إن هاتين السورتين[النساء و المائدة]

فى التقديم و الاتحاد نظير البقرة و آل عمران،فتلكما فى تقرير الأصول،من الوحدانية،و الكتاب، و النبوة،و هاتان فى تقرير الفروع الحكمية.

و قد ختمت المائدة (1) بصفة القدرة،كما افتتحت النساء بذلک (2) .

و افتتحت النساء ببدء الخلق،و ختمت المائدة بالمنتهى من البعث و الجزاء.فكأنهما سورة واحدة،اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المنتهى.

و لما وقع فى سورة النساء: إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَيْکَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النّٰاسِ [105]

الآيات.فكانت نازلة فى قصة سارق درعا (3) ، فصل فى سورة المائدة أحكام السراق و الخائنين.

و لما ذكر فى سورة النساء أنه أنزل إليک الكتاب لتحكم بين الناس، ذكر فى سورة المائدة آيات فى الحكم بما أنزل اللّٰه حتى بين الكفار،و كرر قوله: وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ [44،45،46]

.

1- 1) فى قوله تعالى: لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا فِيهِنَّ،وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [120/5].

2- 2) فى قوله تعالى: يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ [1/4] .

3- 3) راجع الحاكم فى مستدركه(385/4-399).

فانظر إلى هذه السور الأربع المدنيات،و حسن ترتيبها،و تلاحمها، و تناسقها،و تلازمها.

و قد افتتحت بالبقرة التى هى أول ما نزل بالمدينة،و ختمت بالمائدة التى هى آخر ما نزل بها،كما فى حديث الترمذى (1) .

1- 1) راجع الترمذى(436/8،437).

سورة الأنعام

قال بعضـهم:مناسـبة هذه السورة لآخر المائدة:أنها افتتحت بالحمد،و تلک ختمت بفصل القضاء،و هما متلازمتان كما قال: وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ [39:75]

.

و قـد ظهر لی بفضل اللّه مع ما قـدمت الإشارة إليه فی آية زُيِّنَ لِلنّٰاسِ .أنه لما ذكر فی آخر المائدة: لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا فِيهِنَّ [120]

.على سبيل الإجمال،افتتح هذه السورة بشرح ذلک و تفصيله.

فبدأ بذكر:أنه خلق السـموات و الأرض،و ضم إليه أنه جعل الظلمات و النور،و هو بعض ما تضـمنه قوله: وَ مٰا فِيهِنَّ فی آخر المائدة.و ضمن قوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ [أول الأنعام]

أن له ملک جميع المحامد،و هو من بسط: لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا فِيهِنَّ [فی آخر المائدة]

.

ثم ذكر:أنه خلق النوع الإنسانی،و قضـی له أجلا مسمی،و جعل له أجلا آخر للبعث،و أنه منشئ القرون قرنا بعد قرن،ثم قال: قُلْ لِمَنْ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ [12]

.فأثبت له ملک جميع المنظورات.

ثم قال: وَ لَهُ مٰا سَكَنَ فِی اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ [13]

.فـأثبت له ملـک جميع المظروفـات لظرفی الزمـان.ثم ذكر أنه خلق سائر الحيوان،من الـدواب و الطير،ثم خلق النوم و اليقظـة،و الموت و الحياة،ثم أكثر فی أثناء السورة من ذكر الخلق و الإنشاء لما فيهن،من النيرين،و النجوم،و فلق

الإصباح،و خلق الحب و النوى،و إنزال الماء،و إخراج النبات و الثمار بأنواعها،و إنشاء جنات معروشات و غير معروشات،و الأنعام،و منها حمولة و فرش.و كل ذلک تفصيل لملكه ما فيهن:و هذه مناسبة جليلة.

ثم لما كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق و الملک،أكثر فيها من ذكر الرب الذى هو بمعنى المالک و الخالق و المنشئ،و اقتصر فيها على ما يتعلق بذلک من بدء الخلق الإنسانى و الملكوتى،و الملكى و الشيطانى، و الحيوانى و النباتى،و ما تضمنته من الوصايا،فكلها متعلق بالقوام و المعاش الدنيوى،ثم أشار إلى أشراط الساعة.

فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات بأسرها،و ما يتعلق بها، و ما يرجع اليها،فظهرت بذلک مناسبة افتتاح السور المكية بها (1) ،و تقديمها على ما تقدم نزوله منها.

و هى فى جمعها الأصول و العلوم و المصالح الدنيوية نظير سورة البقرة فى جمعها العلوم و المصالح الدينية.و ما ذكر فيها من العبادات المحضة، فعلى سبيل الإيجاز و الإيماء،كنظير ما وقع فى البقرة من علوم بدء الخلق و نحوه،فإنه على سبيل الاختصار و الإشارة.

فإن قلت:فلم لا أفتتح القرآن بهذه السورة،مقدّمة على سورة البقرة،لأن بدء الخلق مقدّم على الأحكام و التعبّدات؟ قلت:للإشارة إلى أن مصالح الدين و الآخرة مقدمة على مصالح المعاش و الدنيا،و أن المقصود إنما هو العبادة،فقدم ما هو الأهم فى نظر الشرع (2) ،و لأن علم بدء الخلق كالفضلة،و علوم الأحكام و التكاليف متعين على كل واحد.فلذلک لا ينبغى النظر فى علم بدء الخلق و ما جرى مجراه من التواريخ إلا بعد النظر فى علم الأحكام و إتقانه.

1- 1) راجع صفوة التفاسير للصابونى(362/7)و الإتقان للسيوطى(42/1).

2- 2) و ذلک لأن الأمور بمقاصدها و نهاياتها منوطة.

ثم ظهر لی بحمد اللّه وجه آخر،أتقن مما تقدم.و هو:أنه لما ذكر فی سورة المائدة: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُحَرِّمُوا طَيِّبٰاتِ مٰا أَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَ لاٰ تَعْتَدُوا [87]

إلی آخره،فأخبر عن الكفار أنهم حرموا أشياء مما رزقهم اللّه افتراء عليه،و كان القصد بذلک تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئا مما أحل اللّه،فيشابهوا بذلک الكفار فی صنيعهم و كان ذكر ذلک علی سبيل الإيجاز،ساق هذه السورة لبيان ما حرمه الكفار فی صنيعهم،فأتی به علی الوجه الأبين و النمط الأكمل،ثم جادلهم فيه،و أقام الدلائل علی بطلانه،و عارضهم و ناقضهم،إلی غير ذلک مما اشتملت عليه القصة، فكانت هذه السورة شرحا لما تضمنته المائدة من ذلک علی سبيل الإجمال، و تفصيلا و بسطا،و إتماما و إطنابا.

و افتتحت بذكر الخلق و الملک،لأن الخالق و المالک هو الذی له التصرف فی ملكه،و مخلوقاته،إباحة و منعا (1) ،و تحريما و تحليلا،فيجب ألا يتعدی عليه بالتصرف فی ملكه.

و كانت هذه السورة بأسرها متعلقة بالفاتحة من وجه كونها شارحة لإجمال قوله: رَبِّ الْعٰالَمِينَ .و للبقرة من حيث شرحها لإجمال قوله:

اَلَّذِی خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ [21]

.و قوله: هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَكُمْ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِيعاً [29]

.و بآل عمران من جهة تفصيلها لقوله: وَ الْأَنْعٰامِ وَ الْحَرْثِ [14]

.و قوله: كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ الْمَوْتِ [185]

.الآية.

و بالنساء من جهة ما فيها من بدء الخلق،و التقبيح لما حرموه علی أزواجهم،و قتل البنات بالوأد (2)

1- 1) ذلک لأن أصول الأحكام خمسة:(الحلال،و الحرام،و المستحب،و المكروه، و المباح)..

2- 2) لقوله تعالی: قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاٰدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ،وَ حَرَّمُوا مٰا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ [140].

و بالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها (1) .

و فى افتتاح السور المكية بها وجهان آخران من المناسبة.

الأول:افتتاحها بالحمد.

و الثانى:مشابهتها للبقرة،المفتتح بها السور المدنية،من حيث أن كلا منهما نزل مشيعا.ففى حديث أحمد:«البقرة سنام القرآن و ذروته،نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا» (2) .و روى الطبرانى و غيره من طرق:«أن الأنعام شيعها سبعون ألف ملك» (3) .و فى رواية:

«خمسمائة ملك».

و وجه آخر،و هو:أن كل ربع من القرآن افتتح بسورة أولها الحمد.و هذه للربع الثانى،و الكهف للربع الثالث،و سبأ و فاطر للربع الرابع.

و جميع هذه الوجوه التى استنبطتها من المناسبات بالنسبة للقرآن كنقطة من بحر.

و لما كانت هذه السورة لبيان بدء الخلق،ذكر فيها ما وقع عند بدء الخلق،و هو قوله: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ (4) .[54]

.

ففى الصحيح:«لما فرغ اللّه من الخلق،و قضى القضية،كتب كتابا عنده فوق العرش:إن رحمتى سبقت غضبى» (5) .

1- 1) المائدة(5/41-148).

2- 2) أخرجه الدارمى عن ابن مسعود(2/447).

3- 3) راجع صفوة التفاسير(7/363).

4- 4) راجع القرطبى(6/453)و الصابونى(7/379).

5- 5) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى الصحيح(4/129).

سورة الأعراف

أقول:مناسبة وضع هذه السورة عقب سورة الأنعام فيما ألهمنى اللّه سبحانه:أن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق،و قال فيها: هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ [2]

.و قال فى بيان القرون: كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ [6]

.و أشير فيها إلى ذكر المرسلين،و تعداد كثير منهم،و كانت الأمور الثلاثة على وجه الإجمال،لا التفصيل،ذكرت هذه السورة عقبها،لأنها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة و تفصيلها.

فبسط فيها قصة خلق آدم أبلغ بسط،بحيث لم تبسط فى سورة كما بسطت فيها.و ذلک تفصيل إجمال قوله خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ [6:2]

ثم فصلت قصص المرسلين و أممهم،و كيفية إهلاكهم،تفصيلا تاما شافيا مستوعبا،لم يقع نظيره فى سورة غيرها،و ذلک بسط حال القرون المهلكة و رسلهم،فكانت هذه السورة شرحا لتلک الآيات الثلاث.

و أيضا،فذلک تفصيل قوله: وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلاٰئِفَ الْأَرْضِ (1) .[6:165]

.و لهذا صدّر هذه السورة بخلق آدم الذى جعله اللّه فى الأرض خليفة.و قال فى قصة عاد: جَعَلَكُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ [69]

.و فى قصة ثمود: جَعَلَكُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ عٰادٍ [74].

و أيضا فقد قال فى الأنعام: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

1- 1) راجع تفسير الطبرى(84/8).

[12].و هو موجز،و بسطه هنا بقوله: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ فَسَأَکْتُبُهٰا لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ [156]

.إلی آخره.فبین من کتبها لهم.

و أما وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأنعام فهو:أنه قد تقدم هناک: وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ [153]

.و قوله: وَ هٰذٰا کِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ مُبٰارَکٌ فَاتَّبِعُوهُ [155]

.فافتتح هذه السورة أیضا باتباع الکتاب فی قوله: کِتٰابٌ أُنْزِلَ إِلَیْکَ إلی اِتَّبِعُوا مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ مِنْ رَبِّکُمْ [2،3].

و أیضا لما تقدم فی الأنعام: ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَفْعَلُونَ [159]

. ثُمَّ إِلیٰ رَبِّکُمْ مَرْجِعُکُمْ فَیُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ [164]

.قال فی مفتتح هذه السورة: فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِینَ أُرْسِلَ إِلَیْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِینَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَیْهِمْ بِعِلْمٍ [6،7]

.و ذلک شرح التنبئة المذکورة.

و أیضا فلما قال فی الأنعام: مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا [16]

.الآیة.و ذلک لا یظهر إلا فی المیزان،افتتح هذه السورة بذکر الوزن،فقال: وَ الْوَزْنُ یَوْمَئِذٍ الْحَقُّ [8]

.ثم ذکر من ثقلت موازینه،و هو من زادت حسناته علی سیئاته،ثم من خفت موازینه،و هو من زادت سیئاته علی حسناته،ثم ذکر بعد ذلک أصحاب الأعراف،و هم قوم استوت (1) حسناتهم و سیئاتهم.

1- 1) استوت:تساوت و تناظرت.

سورة الأنفال

اعلم أن وضع هذه السورة و براءة هنا ليس بتوقيف من الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و الصحابة،كما هو الراجح فى سائر السور،بل اجتهاد من عثمان رضى اللّه عنه.

و قد كان يظهر فى بادئ الرأى:أن المناسب إيلاء الأعراف بيونس و هود،لاشتراك كل منها فى اشتمالها على قصص الأنبياء،و أنها مكية النزول، خصوصا أن الحديث ورد فى فضل السبع الطوال،و عدوا السابعة يونس، و كانت تسمى بذلك كما أخرجه البيهقى فى الدلائل.ففى فصلها من الأعراف بسورتين هما الأنفال و براءة فصل للنظير عن سائر نظائره،هذا مع قصر سورة الأنفال،بالنسبة إلى الأعراف و براءة.

و قد استشكل ابن عباس حبر الأمة قديما ذلك.فأخرج أحمد و أبو داود و الترمذى و النسائى و ابن حبان و الحاكم،عن ابن عباس قال:قلت لعثمان:ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال و هى من المثانى (1) ،و الى براءة و هى من المئين (2) ،فقرنتم بينهما،و لم تكتبوا بينهما سطر بسم اللّه الرحمن الرحيم،وضعتموهما فى السبع الطوال؟فقال عثمان:كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ينزل عليه السور ذوات العدد،فكان إذا نزل عليه الشيء دعا

1- 1) قيل المثانى ربما تكون من الثناء،لأن فيها الثناء و الدعاء،أو لأنها تثنى بغيرها.راجع الإتقان(190/1)بتصرف.

2- 2) المئين:هى السورة التى زادت آياتها عن المائة أو قاربتها،و هى ما وليت الطوال، راجع الإتقان للسيوطى(240/1).

بعض من كان يكتب،فيقول:ضعوا تلک الآيات فی السورة التی يذکر فيها کذا و کذا،و کانت الأنفال من أوائل ما نزل،و کانت براءة من آخر القرآن نزولا،و کانت قصتها شبيهة بقصتها،فظننت أنها منها،فقبض رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم و لم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلک قرنت بينهما و لم أکتب بينهما سطر بسم اللّه الرحمن الرحيم،وضعتها فی السبع الطوال.

فانظر إلی ابن عباس رضی اللّه عنه،کيف استشکل علی عثمان رضی اللّه عنه أمرين:وضع الأنفال و براءة فی أثناء السبع الطوال، مفصولا بهما بين السادسة و السابعة،وضع الأنفال و هی قصيرة مع السور الطويلة.و انظر کيف أجاب عثمان رضی اللّه عنه أولا بأنه لم يکن عنده فی ذلک توقيف،فإنه استند الی اجتهاد،و أنه قرن بين الأنفال و براءة لکونها شبيهة بقصتها فی اشتمال کل منهما علی القتال،و نبذ العهود،و هذا وجه بيّن المناسبة جلیّ،فرضی اللّه عن الصحابة،ما أدق أفهامهم! و أجزل آراءهم!و أعظم أحلامهم! و أقول:يتم بيان مقصد عثمان رضی اللّه عنه فی ذلک بأمور فتح اللّه بها:

الأول:أنه جعل الأنفال قبل براءة مع قصرها،لکونها مشتملة علی البسملة،فقدمها لتکون لفظة منها،و تکون براءة بخلوها منها کتتمتها و بقيتها،و لهذا قال جماعة من السلف (1) :إن الأنفال و براءة سورة واحدة،لا سورتان.

الثانی:أنه وضع براءة هنا لمناسبة الطول،فإنه ليس فی القرآن بعد الأعراف أنسب ليونس طولا منها،و ذلک کاف فی المناسبة.

الثالث:أنه خلّل بالسورتين[الأنفال و براءة]

أثناء السبع الطوال

1- 1) أخرجه ابن أشتة عن ابن لهيعة.

المعلوم ترتيبها فى العصر الأول،للإشارة إلى أن ذلک أمر صادر لا عن توقيف،و إلى أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قبض قبل أن يبين محلهما،فوضعتا كالموضع المستعار بين السبع الطوال،بخلاف ما لوضعتا بعد السبع الطوال،فإنه كان يوهم أن ذلک محلهما بتوقيف،و ترتيب السبع الطوال يرشد إلى دفع هذا الوهم.

فانظر الى هذه الدقيقة (1) التى فتح اللّه بها،و لا يغوص عليها إلا غواص.

الرابع:أنه لو أخرهما و قدم يونس،و أتى بعد براءة بهود،كما فى مصحف أبى بن كعب،لمراعاة مناسبة السبع الطوال،و إيلاء بعضها بعضا،الفات مع ما أشرنا اليه أمر آخر آكد (2) فى المناسبة.فإن الأولى بسورة يونس أن تولى بالسور الخمس التى بعدها،لما اشتركت فيه من الاشتمال على القصص،و من الافتتاح بالذكر،و بذكر الكتاب،و من كونها مكيات،و من تناسب-ما عدا الحجر فى المقدار-و بالتسمية باسم نبى، و الرعد (3) اسم ملک،و هو مناسب لأسماء الأنبياء.

فهذه ستة وجوه فى مناسبة الاتصال بين يونس و ما بعدها،و هى آكد من ذلک الوجه السابق فى تقديم يونس بعد الأعراف.

و لبعض هذه الأمور قدمت سورة الحجر على النحل،مع كونها أقصر منها و لو أخرت براءة عن هذه السور الست المناسبة جدا بطولها لجاءت بعد عشر سور أقصر منها بخلاف وضع سورة النحل بعد الحجر،فإنها ليست كبراءة فى الطول.

1- 1) الدقيقة:اللطيفة.

2- 2) آكد فى المناسبة:أكثر تأكيدا.

3- 3) راجع الصابونى فى تفسير قوله تعالى: وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ [11/3] فى الجزء 13 ص 672،و ما بعدها.

و يشـهد لمراعاة الفواتـح فى مناسـبة الوضع ما ذكرنا من تقديم الحجر على النحل لمناسـبة ذوات(الر)قبلها،و ما تقدم من تقديم آل عمران على النسـاء و إن كانت أقصـر منها لمناسـبة البقرة،مع الافتتاح ب(الم)،و توالى الطواسـين و الحواميم،و توالى العنكبوت و الروم و القمر و السجدة،لافتتاح كل ب(الم)،و لهذا قدمت السجدة على الأحزاب التى هى أطول منها.

هذا ما فتح اللّه به.

و أمـا ابن مسـعود فقـدم فى مصـحفه البقرة على النسـاء،و آل عمران، و الأعراف،و الأنعام،و المائـدة،و يونس،فراعى الطوال،و قـدم الأطول فالأطول.ثم ثنى بالمئين،فقدم براءة،ثم النحل،ثم هود،ثم يوسف، ثم الكهف.و هكذا الأطول فالأطول،و ذكر الأنفال بعد النور.

وجه مناسـبتها لها:أن كلا منهما مدنية،و مشـتملة على أحكام، و أن فى النور وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (1) [55]

الآية.و فى الأنفال وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ تَخٰافُونَ (2) [26]

الآية.و لا يخفى ما بين الآيتين من المناسبة،فإن الأولى مشتملة على الوعد بما حصل،و ذكّر به فى الثانية.فتأمل.

1- 1) راجع فى تفسير الآية زاد المسير(57/6).

2- 2) راجع حاشية الصاوى على الجلالين(122/2).

سورة براءة

أقول:قد عرف وجه مناسبتها،و نزيد هنا أن صدرها (1) تفصيل لإجمال قوله فى الأنفال: وَ إِمّٰا تَخٰافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيٰانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلىٰ سَوٰاءٍ [58]

.و آيات الأمر بالقتال متصلة بقوله هناک: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ [60]

الآية.و لذا قال هنا فى قصة المنافقين:

وَ لَوْ أَرٰادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً [46]

.

ثم بين السورتين تناسب من وجه آخر،و هو:أنه سبحانه فى الأنفال تولى قسمة الغنائم،و جعل خمسها خمسة أخماس (2) ،و فى براءة تولى قسمة الصدقات،و جعلها لثمانية أصناف (3) .

1- 1) صدر التوبة وَ أَذٰانٌ مِنَ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النّٰاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللّٰهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ إلى قوله تعالى: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ [3/9-5] .

2- 2) فى قوله تعالى: وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ،وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتٰامىٰ وَ الْمَسٰاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ [41/8] .

3- 3) و قد قال فى ذلک: إِنَّمَا الصَّدَقٰاتُ لِلْفُقَرٰاءِ وَ الْمَسٰاكِينِ وَ الْعٰامِلِينَ عَلَيْهٰا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقٰابِ وَ الْغٰارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللّٰهِ،وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [60/9] راجع تفسير الطبرى(110/10)و الدر المنثور(251/3).

سورة يونس

أقول:قد عرف وجه مناسبتها فيما تقدم فى الأنفال.و نزيد هنا:

أن مطلعها شبيه بمطلع سورة الأعراف،و أنه سبحانه قال فيها: أَنْ أَنْذِرِ النّٰاسَ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا [2]

فقدم الإنذار و عممه،و أخر البشارة و خصصها.و قال تعالى فى مطلع الأعراف: لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِكْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ [2]

.فخص الذكرى و أخرها،و قدم الإنذار،و حذف مفعوله ليعم.

و قال هنا: إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ [3]

.و قال فى الأوائل،أى أوائل الأعراف مثل ذلک (1) .

و قال هنا: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ [3]

.و قال هناک: مُسَخَّرٰاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ [54].

و أيضا فقد ذكرت قصة فرعون و قومه فى الأعراف (2) ،فاختصر ذكر عذابهم،و بسطه فى هذه السورة أبلغ بسط (3) .

فهى شارحة لما أجمل فى سورة الأعراف منه.

---

1 - 1) فى قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهٰارَ [54/7] . الطبرى(480/12)و القرطبى(219/7).

2- 2) و عذاب فرعون ورد فى الأعراف فى قوله: فَانْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنٰاهُمْ فِي الْيَمِّ [7/ 136] و فى يونس: حَتّٰى إِذٰا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قٰالَ آمَنْتُ... الآية[90/10- 92].

3- 2) و عذاب فرعون ورد فى الأعراف فى قوله: فَانْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنٰاهُمْ فِي الْيَمِّ [7/ 136] و فى يونس: حَتّٰى إِذٰا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قٰالَ آمَنْتُ... الآية[90/10- 92].

سورة هود

أقول:وجه وضـعها بعد سورة يونس زيادة على الأوجه الستة السابقة:أن سورة يونس ذكر فيها قصة نوح مختصرة جدا،مجملة (1) ، فشرحت فى هـذه السورة و بسـطت بما لم يبسـطه فى غيرها من السور (2) ،و لا ـ فى سورة الأـعراف على طولها،و لا فى سورة إِنّٰا أَرْسَلْنٰا نُوحاً التى أفردت لقصته.

فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل فى سورة يونس،فإن قوله هناك: وَ اتَّبِعْ مٰا يُوحىٰ إِلَيْکَ [109]

هو عين قوله هنا: كِتٰابٌ أُحْكِمَتْ آيٰاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [2]

.[فكان أول هود تفصيلا لخاتمة يونس]

.

1- 1) و ذلک فى قوله تعالى: وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إلى قوله: فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ [10/71-73] .

2- 2) فى قوله تعالى وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ إلى قوله: قِيلَ يٰا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاٰمٍ مِنّٰا وَ بَرَكٰاتٍ عَلَيْکَ [11/25-48] .

سورة يوسف

أقول:وجه وضعها بعد سورة هود زيادة على الأوجه الستة السابقة:أن قوله فى مطلعها: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ [3]

مناسب لقوله فى مقطع تلک: وَ كُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْکَ مِنْ أَنْبٰاءِ الرُّسُلِ مٰا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤٰادَکَ [120]

.

و أيضا فلما وقع فى سورة هود: فَبَشَّرْنٰاهٰا بِإِسْحٰاقَ وَ مِنْ وَرٰاءِ إِسْحٰاقَ يَعْقُوبَ [71]

.و قوله: رَحْمَتُ اللّٰهِ وَ بَرَكٰاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ [73]

.ذكر هنا حال يعقوب مع أولاده،و حال ولده الذى هو من أهل البيت مع إخوته،فكان كالشرح لإجمال ذلک.

و كذلک قال هنا: وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْکَ وَ عَلىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمٰا أَتَمَّهٰا عَلىٰ أَبَوَيْکَ مِنْ قَبْلُ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْحٰاقَ [6]

.فكان ذلک كالمقترن بقوله فى هود: رَحْمَتُ اللّٰهِ وَ بَرَكٰاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ [73].

و قد روينا عن ابن عباس و جابر بن زيد فى ترتيب النزول:أن يونس نزلت،ثم هود،ثم يوسف (1) .و هذا وجه آخر من وجوه المناسبة فى ترتيب هذه السور الثلاث،لترتيبها فى النزول هكذا.

1- 1) قال الإمام السيوطى هذا فى الإتقان(97/1).

سورة الرعد

أقول:وجه وضعها بعد سورة يوسف زيادة على ما تقدم بعد ما فكرت فيه طائفة من الزمان:أنه سبحانه قال فى آخر تلك: وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماٰواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهٰا وَ هُمْ عَنْهٰا مُعْرِضُونَ (1) [105]

.فذكر الآيات السمائية و الأرضية مجملة،ثم فصل فى مطلع هذه السورة.

فقوله: اَللّٰهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماٰواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيٰاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهٰا رَوٰاسِيَ وَ أَنْهٰاراً وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرٰاتِ جَعَلَ فِيهٰا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهٰارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَ فِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجٰاوِرٰاتٌ وَ جَنّٰاتٌ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوٰانٌ وَ غَيْرُ صِنْوٰانٍ يُسْقىٰ بِمٰاءٍ وٰاحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَهٰا عَلىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (2) [2-4]

تفصيل الآيات الأرضية.

هذا مع اختتام سورة يوسف بوصف الكتاب،وصفه بالحق، و افتتاح هذه بمثل ذلك،و هو من تشابه الأطراف.

1- 1) راجع تفسير الطبرى للآية الشريفة(50/13)

2- 2) راجع تفسير الآيات فى الطبرى(63/13-65)و مجاز القرآن(321/1)و البحر المحيط(358/5).

سورة إبراهيم

أقول:وجه وضعها بعد سورة الرعد زيادة على ما تقدم بعد أفكارى فيه برهة:أن قوله فى مطلعها: كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَيْکَ [2]

مناسب لقوله:فى مقطع تلک: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتٰابِ [43]

.على أن المراد ب مَنْ هو:اللّه تعالى جل جلاله.

و أيضا ففى الرعد: وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ [32]

.و ذلک مجمل فى أربعة مواضع:

الرسل،و المستهزئين،و صفة الاستهزاء،و الأخذ.و قد فصلت الأربعة فى قوله: أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عٰادٍ وَ ثَمُودَ [9-16]

الآيات (1) .

1- 1) راجع الآيات الآتية من سورة إبراهيم(14،13،10،9).

سورة الحجر

أقول:تقدمت الأوجه فى اقترانها بالسورة السابقة.و إنما أخرت عنها لقصـرها بالنسبة إليها،و هذا القسم من سور القرآن للمئين،فناسب تقديم الأطول،مع مناسبة ما ختمت به لبراعة الختام،و هو قوله:

وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّٰی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ [99]

.فإنه مفسر بالموت (1)،و ذلک مقطع فى غاية البراعة.

و قد وقع ذلک فى أواخر السور المقترنة.ففى آخر آل عمران:

وَ اتَّقُوا اللهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ [200]

.و فى آخر الطواسين: کُلُّ شَیْءٍ هٰالِکٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ لَهُ الْحُکْمُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ [28:88]

.و فى آخر ذوات الر : وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ [32:30]

.و فى آخر الحواميم کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَ مٰا یُوعَدُونَ لَمْ یَلْبَثُوا إِلاّٰ سٰاعَةً مِنْ نَهٰارٍ بَلاٰغٌ [46:35].

ثم ظهر لى وجه اتصال أول هذه السورة بآخر سورة إبراهيم،فإنه تعالى لما قال هناک فى وصف يوم القيامة: وَ بَرَزُوا لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ* وَ تَرَى الْمُجْرِمِینَ یَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِینَ فِی الْأَصْفٰادِ* سَرٰابِیلُهُمْ مِنْ قَطِرٰانٍ وَ تَغْشیٰ وُجُوهَهُمُ النّٰارُ [48-50]

.قال هنا: رُبَمٰا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ کٰانُوا مُسْلِمِینَ [2]

.فأخبر أن المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم فى

1- 1) تفسير غريب القرآن(ص 240).

النار و رأوا عصاة المؤمنين الموحدين قد أخرجوا منها، تمنوا أن لو كانوا فی الدنیا مسلمین.و ذلک وجه حسن فی الربط، مع اختتام آخر تلک بوصف الکتاب، و افتتاح هذه به، و ذلک من تشابه الأطراف.

ص: 80

سورة النحل

أقول:وجه وضعها بعد سورة الحجر:أن آخرها شديد الالتئام بأول هذه،فإن قوله فى آخر تلك: وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّٰی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ [99]

.الذى هو مفسر بالموت،ظاهر المناسبة لقوله هنا: أَتیٰ أَمْرُ اللّٰهِ [1]

.و انظر كيف جاء فى المقدّمة بيأتيک اليقين،و فى المتأخرة بلفظ الماضى،لأن المستقبل سابق على الماضى،كما تقرر فى المعقول و العربية.

و ظهر لى أن هذه السورة شديدة الاعتلاق بسورة إبراهيم،و إنما تأخرت عنها لمناسبة الحجر،فى كونها من ذوات الر .

و ذلک:أن سورة إبراهيم وقع فيها ذكر فتنة الميت،و من هو ميت و غيره (1) ،و ذلک أيضا فى هذه بقوله: اَلَّذِینَ تَتَوَفّٰاهُمُ الْمَلاٰئِکَةُ ظٰالِمِی أَنْفُسِهِمْ [28]

الآيات.فذكر الفتنة،و ما يحصل عندها من الثبات و الإضلال،و ذكر هنا ما يحصل عقب ذلک من النعيم و العذاب.

وقع فى سورة إبراهيم: وَ قَدْ مَکَرُوا مَکْرَهُمْ وَ عِنْدَ اللّٰهِ مَکْرُهُمْ وَ إِنْ کٰانَ مَکْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبٰالُ [46]

.و قيل:إنها فى الجبار الذى أراد أن يصعد السماء بالنسور.وقع هنا أيضا فى قوله: وَ قَدْ مَکَرَ

1- 1) و ذلک فى قوله تعالى: یَتَجَرَّعُهُ وَ لاٰ یَکٰادُ یُسِیغُهُ وَ یَأْتِیهِ الْمَوْتُ مِنْ کُلِّ مَکٰانٍ وَ مٰا هُوَ بِمَیِّتٍ وَ مِنْ وَرٰائِهِ عَذٰابٌ غَلِیظٌ [17/14] .

اَلّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [26].

وقع فى سورة إبراهيم ذكر النعم،و قال عقبها: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاٰ تُحْصُوهٰا [34]

.وقع هنا ذكر ذلک معقّبا بمثل ذلک.

ص: 82

سورة بنی اسرائیل

اعلم أن هـذه السورة و الأـربع بعـدها من قـديم مـا أنزل.أخرج البخـارى عن ابن مسـعود أنه قال فى بنى اسـرائيل و الكهف و مريم و طه و الأنبياء:«من العتاق الأول،و هن من تلادى» (1) .و هذا وجه فى ترتيبها،و هو اشتراكها فى قدم النزول،و كونها مكيات،و كونها مشتملة على القصص.

و قد ظهر لى فى وجه اتصالها بسورة النحل:أنه سبحانه لما قال فى آخر النحل: إِنَّمٰا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ [124].

فسّر فى هذه شـريعة أهل السبت و شأنهم،فذكر فيها جميع ما شرع لهم فى التوراة،كما أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال:«التوراة كلها فى خمس عشـرة آية من سورة بنى اسـرائيل».و ذكر عصـيانهم و فسادهم، و تخريب مسـجدهم،ثم ذكر اسـتفزازهم للنبى صـلّى اللّه عليه و سلّم،و إرادتهم إخراجه من المدينـة،ثم ذكر سـؤالهم إيـاه عن الروح،ثم ختم السـورة بآيـات موسـى التسع،و خطـابه مع فرعون،و أخـبر أن استفزازهم للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم ليخرجوه من المدينة هو أصحابه كنظير ما وقع لهم مع فرعون لما استفزهم،وقع ذلک أيضا.

و لما كانت هذه السورة مصدّرة بقصة تخريب المسـجد الأقصى،أسرى بالمصطفى إليه،تشريفا له بحلول ركابه الشريف.فلله الحمد على ما ألهم.

1- 1) البخارى(189/6).

سورة الكهف

قال بعضهم:مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء:افتتاح تلك بالتسبيح (1) ،و هذه بالتحميد (2) ،و هما مقترنان فى القرآن و سائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد،نحو: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ [15:

98 و 20:13-و 40:55 و 50:39 و 52:48]

.و سبحان اللّه و بحمده.

قلت:مع اختتام ما قبلها بالتحميد أيضا (3) ،و ذلک من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف.

ثم ظهر لى وجه آخر أحسن فى الاتصال.و ذلک:أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن ثلاثة أشياء:عن الروح،و عن قصة أصحاب الكهف،و عن قصة ذى القرنين (4) .و قد ذكر جواب السؤال الأول فى آخر سورة بنى اسرائيل،فناسب اتصالها بالسورة التى اشتملت على جواب السؤالين الآخرين.

فإن قلت:هلا جمعت الثلاثة فى سورة واحدة؟

1- 1) راجع القرطبى(346/10)و الدر المنثور(208/4)و البحر المحيط(95/6).

2- 2) راجع الإتقان للسيوطى(387/3).

3- 3) و قد اختتمت الإسراء بقوله تعالى: وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی لَمْ یَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ شَرِیکٌ فِی الْمُلْکِ [111/17] .

4- 4) راجع ابن كثير(137/5).

قلت:لما لم يقع الجواب عن الأول بالبيان،ناسب فصله فى سورة.

ثم ظهر لى وجه آخر:و هو أنه لما قال فيها: وَ مٰا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِيلاً (1) [58]

.و الخطاب لليهود،و استظهر على ذلک بقصة موسى فى بنى اسرائيل مع الخضر،التى كان سببها ذكر العلم و الأعلم،و ما دلت عليه من إحاطة معلومات اللّه عز و جل التى لا تحصى،فكانت هذه السورة كإقامة الدليل لما ذكر من الحكم.

و قد ورد فى الحديث أنه لما نزل: وَ مٰا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِيلاً قال اليهود:قد أوتينا التوراة،فيها علم كل شىء،فنزل:

قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً

(2)

[109]

فى هذه السورة.فهذا وجه آخر فى المناسبة.و تكون السورة من هذه الجهة جوابا عن شبهة الخصوم فيما قدر بتلک.

و أيضا فلما قال هناک: فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنٰا بِكُمْ لَفِيفاً [104]

شرح ذلک هنا و بسطه،بقوله: فَإِذٰا جٰاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكّٰاءَ إلى وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنٰاهُمْ جَمْعاً. وَ عَرَضْنٰا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكٰافِرِينَ عَرْضاً [98-100].

فهذه وجوه عديدة فى الاتصال.

1- 1) راجع الصابونى فى تفسيره(769/15).

2- 2) راجع أسباب النزول للسيوطى ص 176.

سورة مريم

أقول:ظهر لی فی مناسبتها لما قبلها:أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب:قصة أصحاب الكهف،و طول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل و لا شرب،و قصة موسى مع الخضر،و ما فيها من الخارقات،و قصة ذی القرنين.و هذه السورة فيها أعجوبتان،قصة ولادة يحيى بن زكريا،و قصة ولادة عيسى،فناسب تتاليهما.

و أيضا فقد قيل:إن أصحاب الكهف يبعثون قبل قيام الساعة، و يحجون مع عيسى ابن مريم حين ينزل،ففی ذكر سورة مريم بعد سورة أصحاب الكهف مع ذلک-إن ثبت-ما لا يخفى من المناسبة.

و قد قيل أيضا:إنهم من قوم عيسى،و إن قصتهم كانت فی الفترة،فناسب توالی قصتهم و قصة نبيهم.

ص: 86

سورة طه

أقول:روينا عن ابن عباس و جابر بن زيد فى ترتيب النزول:أن طه نزلت بعد سورة مريم،بعد ذكر سورة أصحاب الكهف.و ذلک وحده كاف فى مناسبة الوضع،مع التآخى بالافتتاح بالحروف المقطعة.

و ظهر لى وجه آخر،و هو:أنه لما ذكر فى سورة مريم قصص عدة من الأنبياء و هم:زكريا،و يحيى،و عيسى،الثلاثة مبسوطة.

و إبراهيم،و هى بين البسط و الإيجاز،و موسى،و هى موجزة بجملة، أشار إلى بقية النبيين فى الآية الأخيرة إجمالا.و ذكر فى هذه السورة شرح قصة موسى،التى أجملها هناک،فاستوعبها غاية الاستيعاب،و بسطها أبلغ بسط،ثم أشار إلى تفصيل قصة آدم،الذى وقع مجرد اسمه هناک.

ثم أورد فى سورة الأنبياء بقية قصص من لم يذكر فى مريم،كنوح، و لوط،و داود،و سليمان،و أيوب،و ذى الكفل،و ذى النون،و أشير إلى قصة من ذكرت قصته إشارة وجيزة،كموسى،و هارون، و اسماعيل،و زكريا،و مريم،لتكون السورتان كالمتقابلتين.

و بسطت فيها قصة إبراهيم البسط التام فيما يتعلق به مع قومه،و لم تذكر حاله مع أبيه إلا إشارة (1) .كما أنه فى سورة مريم ذكر حاله مع قومه

1- 1) وردت قصة إبراهيم فى سورة الأنبياء(21/51-73).

إشارة،و مع أبيه مبسوطا (1) .فانظر إلى عجيب هذا الأسلوب،و بديع هذا الترتيب.

ص: 88

---

1 - 1) و قد وردت قصة إبراهيم و أبيه فى مريم من قوله تعالى: إِذْ قٰالَ لِأَبِيهِ يٰا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مٰا لاٰ يَسْمَعُ وَ لاٰ يُبْصِرُ [42]إلى قوله تعالى: سَأَسْتَغْفِرُ لَکَ رَبِّی إِنَّهُ کٰانَ بِی حَفِيًّا [47] .

سورة الأنبياء

قدمت ما فيها مستوفى.و ظهر لى فى اتصالها بآخر طه:أنه سبحانه لما قال: قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا [135]

.و قال قبله:

وَ لَوْ لاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَکٰانَ لِزٰاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى [129]

.قال فى مطلع هذه: اِقْتَرَبَ لِلنّٰاسِ حِسٰابُهُمْ [1]

.إشارة إلى قرب الأجل،و دنو الأمل المنتظر.

و فيه أيضا مناسبة لقوله هناک: وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْکَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ [131]

الآيـة.فإن قرب الساعة يقتضـى الإعراض عن هذه الحياة الدنيا،لدنوها من الزوال و الفناء،و لهذا ورد فى الحديث:أنها لما نزلت قيل لبعض الصحابة:هلا سألت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عنها؟فقال:

«نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا».

سورة الحج

أقول:وجه اتصالها بسورة الأنبياء:أنه ختمها بوصف الساعة فى قوله: وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذٰا هِيَ شٰاخِصَةٌ أَبْصٰارُ الَّذِينَ كَفَرُوا [97]

.و افتتح هذه بذلک،فقال: إِنَّ زَلْزَلَةَ السّٰاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوْنَهٰا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّٰا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذٰاتِ حَمْلٍ حَمْلَهٰا وَ تَرَى النّٰاسَ سُكٰارىٰ وَ مٰا هُمْ بِسُكٰارىٰ [1-2]

.

سورة المؤمنون

أقول:وجه اتصالها بسورة الحج:أنه لما ختمها بقوله:

وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [77]

.و كان ذلک مجملا،فصله فی فاتحة هذه السورة،فذكر خصال الخير التی من فعلها فقد أفلح،فقال:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* اَلَّذِينَ هُمْ فِی صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ [1-6].

الآيات.

ص: 91

سورة النور

أقول:وجه اتصالها بسورة قد أفلح:أنه لما قال: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حٰافِظُونَ [5]

.ذكر فى هذه أحكام من لم يحفظ فرجه،من الزانية و الزانى،و ما اتصل بذلک من شأن القذف،و قصة الإفک،و الأمر بغض البصر (1)،و أمر فيها بالنكاح حفظا للفروج،و أمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف،و حفظ فرجه،و نهى عن إكراه الفتيات على الزنا.

و لا ارتباط أحسن من هذا الارتباط،و لا تناسق أبدع من هذا النسق.

1- 1) قال تعالى: اَلزّٰانِيَةُ وَ الزّٰانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وٰاحِدٍ مِنْهُمٰا مِائَةَ جَلْدَةٍ [النور-/24 2] .

سورة الفرقان

ظهر لی بفضل اللّه بعد ما فکرت فی هذه:أن نسبة هذه السورة لسورة النور،کنسبة سورة الأنعام إلی المائدة.

من حیث أن النور قد ختمت بقوله: لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ [64]

.کما ختمت المائدة بقوله: لِلّٰهِ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا فِیهِنَّ [120]

.

و کانت جملة النور أخصر من المائدة،ثم فصلت هذه الجملة فی سورة الفرقان فافتتحت بقوله: اَلَّذِی لَهُ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ إلی قوله:

وَ خَلَقَ کُلَّ شَیْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِیراً [2]

.کما افتتحت الأنعام بمثل ذلک (1) .و کان قوله عقبه: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً [3]

إلی آخره، نظیر قوله هناک: ثُمَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ [1]

.

ثم ذکر فی خلال هذه السورة جملة من المخلوقات،کمدّ الظل، و اللیل،و النوم،و النهار،و الریاح،و الماء،و الأنعام،و الأناسی،و مرج البحرین،و الإنسان،و النسب،و الصّهر،و خلق السموات و الأرض فی ستة أیام،و الاستواء علی العرش،و بروج السماء،و السراج،و القمر، إلی غیر ذلک،مما هو تفصیل لجملة: لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ

1- 1) و ذلک فی قوله تعالی: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ،وَ جَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَ النُّورَ [1/6] .راجع الجامع لأحکام القرآن للقرطبی(391/6)و أسباب النزول ص 122.فی تفسیر هذه الآیة..

وَ الْأَرْضِ (1)

.كما فصل آخر المائدة فى الأنعام بمثل ذلک.و كان البسط فى الأنعام أكثر لطولها.

ثم أشـار فى هـذه السورة الى القرون المكذبـة و إهلاكهم،كما أشار فى الأنعام إلى ذلک (2) .ثم أفصـح عن هذه الإشارة فى السورة التى تليها و هى الشعراء بالبسط التام،و التفصيل البالغ (3) .كما أوضح تلک الإشارة التى فى الأنعام،و فصلها فى سورة الأعراف التى تليها (4) .

فكانت هاتان السورتان[الفرقان و الشعراء]

فى المثانى،نظير تينک السورتين[الأنعام و الأعراف]

فى الطوال،و اتصالهما بآخر النور،نظير اتصال تلک بآخر المائدة،المشتملة على فصل القضاء.

ثم ظهر لى لطيفـة أخرى،و هى:أنه إذا وقعت سورة مكيـة بعـد سورة مدنيـة،افتتح أولها بالثناء على اللّه،كالأنعام بعد المائدة،و الإسـراء بعد النحل،و هـذه بعد النور،و سـبأ بعد الأحزاب،و الحديد بعد الواقعة،و تبارک بعد التحريم،لما فى ذلک من الإشارة إلى نوع اسـتقلال،و إلى الانتقال من نوع إلى نوع.

1- 1) و قد اجتمعت و التقت كل هاتيک المعانى فى قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّکَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ...إلى قوله تعالى: تَبٰارَکَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمٰاءِ بُرُوجـاً،وَ جَعَلَ فِيهٰا سِرٰاجاً وَ قَمَراً مُنِيراً [25/46-61] . راجـع تفسـير هـذه الآيـات فى الطـبرى(19/12)و الفخر الرازى الكبير(24/88).

2 - 2) ارجـع الى سـورة الفرقـان فى قـوله تعـالى: فَقُلْنَا اذْهَبٰا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا إلى قوله: وَ كُلاًّ تَبَّرْنٰا تَتْبِيراً [25/36-39] .راجع الطبرى(19/8)و ما بعدها..

3- 3) راجع الآيات(26/64-89)و انظر هذه التفاسـير:التفسير الكبير للفخر الرازى (24/142)و الجامع لأحكام القرآن(13/110)و ما بعدها و جامع البيان للطبرى (19/55).

4- 4) و قد ورد أحوال هاتيک الأمم المكذبة فى الأعراف من قوله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنٰا نُوحاً إلى قوله تعالى: فَأُولٰئِکَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ [7/59-187] راجع البحر المحيـط(4/320)و ما بعـدها،و الزمخشـرى فى كشافه(2/116)و مـا تلاهـا و روح المعانى للآلوسـى(8/136)و ما بعدها.و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى(7/239).

سورة الشعراء

أقول.وجه اتصالها بسورة الفرقان أنه تعالى لما أشار فيها إلى قصص مجملة بقوله: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً* فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً* وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَ جَعَلْناهُمْ لِلنّاسِ آيَةً وَ أَعْتَدْنا لِلظّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً* وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً [35- 38]

.شرح هذه القصص،و فصلها أبلغ تفصيل فى الشعراء التى تليها، و لذلک رتبت على ترتيب ذكرها فى الآيات المذكورة.فبدئ بقصة موسى،و لو رتبت على الواقع لأخرت كما فى الأعراف.

فانظر الى هذا السر اللطيف الذى منّ اللّه بإلهامه (1) .

و لما كان فى الآيات المذكورة قوله: وَ قُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً .زاد فى الشعراء تفصيلا لذلک قصة قوم إبراهيم،و قوم لوط،و قوم شعيب.

و لما ختم الفرقان بقوله: وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً [63]

.و قوله: وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً [72.ختم هذه السورة بذكر الشعراء الذين هم بخلاف ذلک،و استثنى منهم من سلک سبيل أولئک،و بين ما يمدح من الشعر،و يدخل فى قوله. سَلاماً و ما يذم منه،و يدخل فى اللغو.

1- 1) و القصد من ذلک إلهامه المؤلف رحمه اللّه،و تجاوز عنه لقاء ما قدم للإسلام و المسلمين من علم نافع.

سورة النمل

أقول:وجه اتصالها بما قبلها:أنها كالتتمة لها،فى ذكر بقية القرون،فزاد سبحانه فيها ذكر سليمان،و داود،و بسط فيها قصة لوط أبسط مما هى فى الشعراء.

و قد روينا عن ابن عباس،و جابر بن زيد،فى ترتيب السور:أن الشعراء أنزلت،ثم طس،ثم القصص.و لذلک كان ترتيبها فى المصحف هكذا.

و أيضا فقد وقع فيها: إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّى آنَسْتُ نٰاراً [7]

.

إلى آخره.و ذلک تفصيل قوله فى الشعراء: فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْماً وَ جَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ [21]

.

سورة القصص

أقول:ظهر لی بعد الفکرة:انه سبحانه لما حکی فی الشعراء قول فرعون لموسی: أَ لَمْ نُرَبِّکَ فِینٰا وَلِیداً وَ لَبِثْتَ فِینٰا مِنْ عُمُرِکَ سِ نِینَ* وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَکَ الَّتِی فَعَلْتَ (1) [18-19]

.إلی قول موسی:

فَفَرَرْتُ مِنْکُمْ لَمّٰا خِفْتُکُمْ فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُکْماً وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُرْسَلِینَ [21]

.و قال فی طس النمل قول موسی لأهله: إِنِّی آنَسْتُ نٰاراً [7]

إلی آخره،الذی هو فی الوقوع بعد الفرار،و لما کان علی سبیل الإشارة و الإجمال،بسط فی هذه السورة ما أوجزه فی السورتین،و فصل ما أجمله فیهما علی حسب ترتیبهما.

فبدأ بشرح تربیة فرعون له،مصدرا بسبب ذلک:من علو فرعون،و ذبح أبناء بنی إسرائیل الموجب لإلقاء موسی عند ولادته فی الیم خوفا علیه من الذبح،و بسط القصة فی تربیته،و ما وقع فیها إلی کبره، إلی السبب الذی من أجله قتل القبطی،و هی الفعلة التی فعل،إلی الهم بذلک علیه،و الموجب لفراره إلی مدین (2) ،إلی ما وقع له مع شعیب، و تزوجه بابنته،إلی أن سار بأهله،و آنس من جانب الطور نارا فقال لأهله:امکثوا إِنِّی آنَسْتُ نٰاراً إلی ما وقع له فیها من المناجاة لربه، و بعثه إیاه رسولا،و ما استتبع ذلک،إلی آخر القصة.

---

1 - 1) القصص(18/28،19)راجع تفسیر الطبری(31/20)و الجامع لأحکام القرآن للقرطبی(265/13)و البحر المحیط(111/7)و اللسان(89/5).

2- 2) مدین:هی مدینة قوم شعیب،علی بحر القلزم،تجاه تبوک.و هی التی استقی منها موسی لغنم شعیب.

فكانت السورة شارحة لما أجمل فى السورتين معا،على الترتيب.

و بذلک عرف وجه الحكمة فى تقديم طس على هذه،و تأخيرها عن الشعراء،فلله الحمد على ما ألهم.

ص: 98

سورة العنكبوت

أقول:ظهر لى فى وجه اتصالها بما قبلها:أنه تعالى لما أخبر فى أول السورة السابقة عن فرعون أنه: عَلاٰ فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهٰا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طٰائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنٰاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسٰاءَهُمْ [4]

.افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار و عذبوهم على الإيمان، بعذاب دون ما عذب به قوم فرعون بنى اسرائيل، تسلية لهم،بما وقع لمن قبلهم،و حثا لهم على الصبر،و لذلک قال هنا: وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [3]

.و هذه أيضا من حكم تأخير القصص على طس و أيضا.فلما كان فى خاتمة القصص الإشارة الى هجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و فى خاتمة هذه الإشارة الى هجرة المؤمنين بقوله: يٰا عِبٰادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وٰاسِعَةٌ [56]

ناسب تتاليهما.

ص: 99

سورة الروم

أقول ظهر لی فی اتصالها بما قبلها.انها ختمت بقوله: وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا (1) [69]

.فافتتحت هذه بوعد من غلب من أهل الكتاب بالغلبة و النصر،و فرح المؤمنين بذلک،و أن الدولة لأهل الجهاد فيه،و لا يضرهم ما وقع لهم قبل ذلک من هزيمة (2) .

هـذا مع تآخيها بما قبلها فی المطلع،فإن كلا منهما افتتـح ب الم غير معقب بـذكر القرآن،و هو خلاف القاعدة الخاصة بالمفتتح بالحروف المقطعة،فإنها كلها عقبت بذكر الكتاب أو وصفه،إلا هاتين السورتين و سورة القلم،لنكتة بينتها فی«اسرار التنزيل» (3) .

1- 1) راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبی(364/13)بتصرف فی تفسير هذه الآية.

2- 2) لقوله تعالی: غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ و لقوله عز من قائل: وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ راجع تفسير أبی السعود(176/4)و زاد المسير(288/6)و تفسير الشيخ الصابونی(/21 1068).

3- 3) راجع الإتقان للسيوطی(281/1)،و الجزء الثالث ص 369.

سورة لقمان

أقول:ظهر لی فی اتصالها بما قبلها مع المؤاخاة فی الافتتاح ب الم أن قوله تعالی هنا: هُدیً وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِینَ* اَلَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاٰةَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکٰاةَ وَ هُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ یُوقِنُونَ [3-4]

متعلق بقوله فی آخر سورة الروم: وَ قٰالَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِیمٰانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِی کِتٰابِ اللهِ إِلیٰ یَوْمِ الْبَعْثِ [56]

الآیة.فهذا عین إیقانهم بالآخرة، و هم المحسنون الموقنون بما ذکر.

و أیضا ففی کلتا السورتین جملة من الأدیان و بدء الخلق (1) .

و ذکر فی الروم: فِی رَوْضَةٍ یُحْبَرُونَ [15]

.و قد فسر بالسماع (2) .و فی لقمان: وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ [6]

.و قد فسر بالغناء،و آلات الملاهی.

ص: 101

---

1 - 1) سورة الروم(10،9/30)(32/30).و قد ذکر جملة الأدیان فی لقمان(6/31)و (20/31)و ما بعدها کما ذکر بدء الخلق فی لقمان(10/31).

2- 2) و هو قول یحیی بن أبی کثیر.راجع ابن کثیر(313/6)و تهذیب التهذیب(268/11) و الطبقات الکبری(404/5)و قد توفی سنة 129 ه.

سورة السجدة

أقول:وجه اتصالها بما قبلها.انها شرحت مفاتح الغيب الخمسة التى ذكرت فى خاتمة لقمان.

فقوله هنا: ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ [5]

.شرح لقوله هناک: إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّٰاعَةِ [34]

.و لذلک عقب هنا بقوله: عٰالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ [6]

.

و قوله: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا نَسُوقُ الْمٰاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ [27]

.

شرح لقوله: وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ [32]

.

و قوله: اَلَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ [7]

الآيات.شرح لقوله: وَ يَعْلَمُ مٰا فِى الْأَرْحٰامِ [34]

.

و قوله: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمٰاءِ إِلَى الْأَرْضِ .و وَ لَوْ شِئْنٰا لَآتَيْنٰا كُلَّ نَفْسٍ هُدٰاهٰا [13]

.شرح لقوله: وَ مٰا تَدْرِى نَفْسٌ مٰا ذٰا تَكْسِبُ غَداً [34]

.

و قوله: أَ إِذٰا ضَلَلْنٰا فِى الْأَرْضِ إلى قوله: قُلْ يَتَوَفّٰاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ [11]

شرح لقوله:

وَ مٰا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ،[34]

.فلله الحمد على ما ألهم.

سورة الأحزاب

أقول:وجه اتصالها بما قبلها:تشابه مطلع هذه،و مقطع تلك، فإن تلک ختمت بأمر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بالإعراض عن الکافرین و انتظار عذابهم (1) ،[و مطلع هذه الأمر بتقوی اللّه،و عدم طاعة الکافرین و المنافقین،فصارت کالتتمة لما ختمت به تلک،حتی کأنهما سورة واحدة]

.

---

1 - 1) قال تعالی: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ [30/33] .راجع تفسیر الطبری (101/21)و القرطبی(175،174/14)و البحر المحیط(228/7 و اللسان (109،108/11).

سورة سبأ

أقول:ظهر لی وجه اتصالها بما قبلها،و هو أن تلک لما ختمت بقوله: لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنٰافِقِينَ وَ الْمُنٰافِقٰاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكٰاتِ وَ يَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ [37]

.افتتحت هـذه بأن له ما فی السـموات و ما فی الأرض (1) .و هـذا الوصف لائق بذلک الحکم،فإن الملک العام، و القدرة التامة،یقتضـیان ذلک.

و خاتمة سورة الأحزاب: وَ كٰانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً [73].

و فاصلة الآية الثانية من مطلع سبأ: وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ [2].

1- 1) و ذلک قول الحق تبارک و تعالی: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی لَهُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِی الآخِرَةِ [1/34] .

سورة فاطر

أقول:مناسبة وضعها بعد سبأ.تآخيهما فى الافتتاح بالحمد،مع تناسبهما فى المقدار.

و قال بعضهم:افتتاح سورة فاطر بالحمد مناسب لختام ما قبلها، من قوله: وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مٰا يَشْتَهُونَ كَمٰا فُعِلَ بِأَشْيٰاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ [54]

.كما قال: فَقُطِعَ دٰابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ [6.45]

.فهو نظير اتصال أول الأنعام بفصل القضاء المختتم به المائدة (1) .

---

1 - 1) و هو قوله تعالى: هٰذٰا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰادِقِينَ صِدْقُهُمْ [119/5] .و أول الأنعام هو قوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَ النُّورَ [1/6].

سورة يس

أقول:ظهر لى وجه اتصالها بما قبلها:أنه لما ذكر فى سورة فاطر قوله: وَ جٰاءَكُمُ النَّذِيرُ [37]

.و قوله: وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمٰانِهِمْ لَئِنْ جٰاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ نَذِيرٌ [42]

.و المراد به محمد صلّى اللّه عليه و سلّم و قد أعرضوا عنه و كذبوه،فافتتح هذه السورة بالإقسام على صحة رسالته،و أنه على صراط مستقيم،لينذر قوما ما أنذر آباؤهم.و هذا وجه بين.

و فى فاطر: وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ [13-14]

الآيتين.و فى يس. وَ الشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهٰا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* وَ الْقَمَرَ قَدَّرْنٰاهُ مَنٰازِلَ حَتّٰى عٰادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [38،39]

.و ذلك أبسط و أوضح.

و فى فاطر: وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوٰاخِرَ [12]

.و فى يس:

وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنّٰا حَمَلْنٰا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* وَ خَلَقْنٰا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مٰا يَرْكَبُونَ. وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاٰ صَرِيخَ لَهُمْ وَ لاٰ هُمْ يُنْقَذُونَ [41-43]

.فزاد القصة بسطا.

سورة الصافات

أقول.هـذه السورة بعـد(يس)كالأعراف بعد الأنعام، و كالشـعراء بعد الفرقان،فى تفصـيل أحوال القرون المشار إلى إهلاكهم، كما أن تينک السورتين تفصيل لمثل ذلک كما تقدم.

ص: 107

سورة ص

أقول:هـذه السورة بعـد الصافات،كطس بعـد الشـعراء،و كطه و الأنبياء بعد مريم،و كيوسف بعد هود،فى كونها متممة لها بذكر من بقى من الأنبياء،ممن لم يذكروا فيها،فإنه سبحانه ذكر فى الصافات.نوحا، و إبراهيم،و الذبيح،و موسى،و هارون،و لوطا،و إلياس،و يونس.

و ذكر هنا:داود،و سليمان،و أيوب،و أشار إلى بقية من ذكر،فهى بعدها أشبه شىء بالأنبياء و طس،بعد مريم و الشعراء.

ص: 108

سورة الزمر

لا يخفى وجه اتصال أولها بآخر(ص)، حيث قال فى(ص):

إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ [87]

.ثم قال هنا: تَنْزِيلُ الْكِتٰابِ مِنَ اللهِ [1]

.فكأنه قيل:هذا الذكر تنزيل.و هذا تلاؤم شديد،بحيث أنه لو أسقطت البسملة لا لتأمت الآيتان كالآية الواحدة.

و قد ذكر اللّه تعالى فى آخر(ص)قصة خلق آدم (1) ،و ذكر فى صدر هذه قصة خلق زوجته،و خلق الناس كلهم منه،و ذكر خلقهم فى بطون أمهاتهم خلقا من بعد خلق،ثم ذكر أنهم ميتون،ثم ذكر وفاة النوم و الموت،ثم ذكر القيامة،و الحساب،و الجزاء،و النار،و الجنة.و قال:

وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ [75].

فذكر أحوال الخلق،من المبدأ إلى المعاد،متصلا بخلق آدم المذكور فى السورة التى قبلها.

1- 1) خلق آدم ورد فى سورة ص فى قوله تعالى: إِذْ قٰالَ رَبُّکَ لِلْمَلاٰئِکَةِ إِنِّی خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ إلى قوله تعالى: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِینَ [71/38- 85] .راجع تفسير القرآن للقرطبى(227/15)ط.دار الكتب المصرية..

سورة غافر

أقول:وجه إيلاء الحواميم السبع (1) سورة الزمر:تآخى المطالع فى الافتتاح بتنزيل الكتاب.و فى مصحف أبى بن كعب:أول الزمر (حم)،و ذلک مناسبة جليلة.

ثم إن الحواميم ترتبت لاشتراکها فى الافتتاح ب(حم)،و بذکر الکتاب بعد حم،و أنها مکية،بل ورد فى الحديث أنها نزلت جملة.

و فيها شبه من ترتيب ذوات(الر)الست (2) .

فانظر ثانية الحواميم و هى فصلت،کيف شابهت ثانية ذوات(الر) هود فى تغيير الأسلوب فى وصف الکتاب.و أن فى هود: کِتٰابٌ أُحْکِمَتْ آيٰاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ [2]

.و فى فصلت: کِتٰابٌ فُصِّلَتْ آيٰاتُهُ [2]

.و فى سائر ذوات(الر) تِلْکَ آيٰاتُ الْکِتٰابِ و فى سائر الحواميم: تَنْزِيلُ الْکِتٰابِ أو وَ الْکِتٰابِ .

و روينا عن جابر بن زيد و ابن عباس فى ترتيب نزول السور:أن الحواميم نزلت عقب الزمر،و أنها نزلت متتاليات کترتيبها فى المصحف:

المؤمن،ثم السجدة،ثم الشورى،ثم الزخرف،ثم الدخان،ثم الجاثية،ثم الأحقاف.و لم يتخللها نزول غيرها،و تلک مناسبة جلية واضحة فى وضعها هکذا.

1- 1) و الحواميم السبع هى:غافر،و فصلت،و الشورى،و الزخرف،و الدخان،و الجاثية و الأحقاف..

2- 2) و هى:يونس،و هود،و يوسف،و الرعد،و إبراهيم،و الحجر..

ثم ظهرت لی لطیفـة أخری،و هی:أنه فی کـل ربع من أرباع القرآن توالت سـبع سور مفتتحـة بالحروف المقطعة.فهـذه السـبع مصـدرة ب (حم).و سبع فی الربع الذی قبله ذوات(الر)الست متوالیة،و (المص)الأعراف،فإنها متصلة بیونس علی ما تقدمت الإشارة الیه.

و افتتح أول القرآن بسورتین من ذلک،و أول النصف الثانی بسورتین.

و قال الکرمانی فی«العجائب»:ترتیب الحوامیم السـبع لما بینها من التشاکل الذی خصت به،و هو:أن کل سورة منها استفتحت بالکتاب أو وصفه،مع تفاوت المقادیر فی الطول و القصر،و تشاکل الکلام فی النظام.

انتهی.

قلت:و انظر إلی مناسـبة ترتیبها،فإن مطلع غافر مناسب لمطلع الزمر،و مطلع فصـلت التی هی ثانیة الحوامیم مناسب لمطلع هود،التی هی ثانیة ذوات(الر)و مطلع الزخرف مؤاخ لمطلع الدخان،و کذا مطلع الجاثیة لمطلع الأحقاف.

لا يخفى وجه ارتباط أولها بقوله فى آخر الأحقاف: فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفٰاسِقُونَ [35]

.و اتصاله و تلاحمه،بحيث أنه لو أسقطت البسملة منه،لكان متصلا اتصالا لا تنافر فيه،كالآية الواحدة،آخذا بعضه بعنق بعض.

سورة الفتح

لا يخفى وجه حسن وضعها هنا،لأن الفتح بمعنى النصر،مرتب على القتال،و قد ورد فى الحديث:أنها مبينة لما يفعل به و بالمؤمنين،بعد إبهامه فى قوله تعالى فى الأحقاف: وَ مٰا أَدْرِى مٰا يُفْعَلُ بِى وَ لاٰ بِكُمْ [9]

.فكانت متصلة بسورة الأحقاف من هذه الجملة.

ص: 113

سورة الحجرات

لا يخفى تآخى هاتين السورتين[الفتح و الحجرات]

مع ما قبلهما،لكونهما مـدنيتين،و مشـتملتين على أحكام.فتلك فيها قتال الكفار،و هـذه فيها قتال البغاة.و تلك ختمت بالـذين آمنوا،و هذه افتتحت بالذين آمنوا.و تلك تضمنت تشريفا له صلّى اللّه عليه و سلّم،خصوصا مطلعها، و هذه أيضا فى مطلعها أنواع من التشريف له صلّى اللّه عليه و سلّم.

ص: 114

سورة الذاريات

أقول:لما ختمت(ق)بـذكر البعث،و اشـتملت على ذكر الجزاء،و الجنة و النار،و غير ذلک من أحوال القيامة،افتتح هذه السورة بالإقسام على أن ما توعدون من ذلک لصادق،و إن الدين-و هو الجزاء- لواقع.

و نظير ذلک:افتتاح المرسلات بذلک،بعد ذكر الوعد و الوعيد و الجزاء فى سورة الإنسان.

ص: 115

سورة الطور

أقول:وجه وضـعها بعـد الذاريات:تشابههما فى المطلع و المقطع، فإن فى مطلع كل منهما صـفة حال المتقين بقوله: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ [15-17]

الآيات.و فى مقطع كل منهما صفة حال الكفار،بقوله فى تلك: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا [60]

.و فى هذه: فَالَّذِينَ كَفَرُوا [42]

.

سورة النجم

أقول:وجه وضعها بعد الطور:أنها شديدة المناسبة لها،فإن الطور ختمت بقوله: وَ إِدْبٰارَ النُّجُومِ [49]

.و افتتحت هذه بقوله: وَ النَّجْمِ إِذٰا هَوىٰ [1]

.

و وجه آخر:أن الطور ذكر فيها ذريـة المؤمنين،و أنهم تبع لآبائهم، و هـذه فيها ذكر ذريـة اليهود فى قوله: هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ [32]

.

و لما قال هناک فى المؤمنين: أَلْحَقْنٰا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مٰا أَلَتْنٰاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ [21]

.أى:ما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين،مع نفعهم بما عمل آباؤهم،قال هنا فى صفة الكفار أو بنى الكفار: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسٰانِ إِلاّٰ مٰا سَعىٰ [39]

.خلاف ما ذكر فى المؤمنين الصغار.

و هذا وجه بين بديع فى المناسبة،من وادى التضاد.

سورة القمر

أقول:لا يخفى ما فى توالى هاتين السورتين من حسن التناسق فى التسمية،لما بين النجم و القمر من الملابسة،و نظيره توالى الشمس و الليل و الضحى،و قبلها سورة الفجر.

و وجه آخر،و هو:أن هذه السورة بعد النجم كالأعراف بعد الأنعام،و كالصافات بعد يس،فى أنها تفصيل لأحوال الأمم المشار إلى إهلاكهم فى قوله هناک: وَ أَنَّهُ أَهْلَکَ عٰاداً الْأُولىٰ* وَ ثَمُودَ فَمٰا أَبْقىٰ* وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ کٰانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغىٰ* وَ الْمُؤْتَفِکَةَ أَهْوىٰ [50-53]

.

سورة الرحمن

أقول:لما قال سبحانه و تعالى فى آخر القمر: بَلِ السّٰاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السّٰاعَةُ أَدْهىٰ وَ أَمَرُّ [46]

.ثم وصف حال المجرمين فى سقر،و حال المتقين فى جنات و نهر،فصل هذا الإجمال فى هذه السورة أتم تفصيل،على الترتيب الوارد فى الإجمال.

فبدأ بوصف مرارة الساعة،و الإشارة إلى إدهائها،ثم وصف النار و أهلها،و الجنة و أهلها،و لذا قال فيهم: وَ لِمَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ جَنَّتٰانِ [46]

.و ذلک هو عين التقوى.و لم يقل:لمن آمن و أطاع،أو نحوه، لتتوافق الألفاظ فى التفصيل و المفصل.

و عرف بذلک أن هذه السورة بأسرها شرح لآخر السورة التى قبلها.

فلله الحمد على ما ألهم و فهّم.

ص: 119

سورة الواقعة

أقول:هـذه السورة متآخيـة مع سورة الرحمن فى أن كلا منهما فى وصف القيامة،و الجنة و النار.و انظر إلى اتصال قوله هنا: إِذٰا وَقَعَتِ الْوٰاقِعَةُ [1]

بقوله هناک: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمٰاءُ [37]

.و لهذا اقتصـر فى الرحمن على ذكر انشـقاق السـماء،و فى الواقعة على ذكر رجّ الأرض (1) .فكـأن السورتين لتلازمهما و اتحادهما سورة واحدة.

و لهذا عكس فى الترتيب.فذكر فى أول هذه السورة ما ذكره فى آخر تلک،و فى آخر هذه ما فى أول تلک،كما أشرت اليه فى سورة آل عمران مع سورة البقرة.

فافتتـح الرحمن بذكر القرآن،ثم ذكر الشـمس و القمر،ثم ذكر النبات،ثم خلق الإنسان،و الجان من مارج من نار،ثم صـفة القيامة، ثم صـفة النار،ثم صفة الجنة.

و ابتدأ هذه بذكر القيامة ثم صـفة الجنة،ثم صفة النار،ثم خلق الإنسان،ثم النبات،ثم الماء،ثم النار،ثم النجوم،و لم يذكرها فى الرحمن،كما لم يذكر هنا الشمس و القمر،ثم ذكر القرآن.

فكانت هذه السورة كالمقابلة لتلک،و كردّ العجز على الصدر.

1- 1) الواقعة(4/56)راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى(196/17).

سورة الحديد

قال بعضهم:وجه اتصالها بالواقعة:أنها قدمت بذكر التسبيح، و تلک ختمت بالأمر به.

قلت:و تمامه:أن أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به،و كأنه قيل: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِيمِ لأنه سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

ص: 121

سورة المجادلة

أقول:لما كان فى مطلع الحديد ذكر صفاته الجليلة،و منها:

الظاهر و الباطن،و قال: يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ [4]

.افتتح هذه بذكر أنه سمع قول المجادلة التى شكت إليه صلّى اللّه عليه و سلّم.و لهذا قالت عائشة رضى اللّه عنها حين نزلت:«سبحان الذى وسع سمعه الأصوات،إنى لفى ناحية البيت لا أعرف ما تقول».

و ذكر بعد ذلک قوله: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ ما يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَةٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ [7]

.و هو تفصيل لقوله: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ [4].

و بذلک تعرف الحكمة فى الفصل بها بين الحديد و الحشر،مع تآخيهما فى الافتتاح ب سَبَّحَ .

سورة الحشر

آخر سورة المجادلة نزول فيمن قتل أقرباؤه من الصحابة يوم بدر.

و أول الحشر نازل فى غزوة بنى النضير،و هى عقبها،و ذلک نوع من المناسبة و الربط.

و فى آخر تلک: كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِى [21]

.و فى أول هذه: فَأَتٰاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ [2].

و فى آخر تلک ذكر من حاد اللّه و رسوله،و فى أول هذه ذكر من شاق اللّه و رسوله.

ص: 123

سورة الممتحنة

أقول:لما كانت سورة الحشر فى المعاهدين من أهل الكتاب، عقبت بهذه،لاشتمالها على ذكر المعاهدين من المشركين،لأنها نزلت فى صلح الحديبية.

و لما ذكر فى الحشر موالاة المؤمنين بعضهم بعضا،ثم موالاة الذين من أهل الكتاب،افتتح هذه السورة بنهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء،لئلا يشابهوا المنافقين فى ذلك،و كرر ذلك و بسطه،إلى أن ختم به،فكانت فى غاية الاتصال،و لذلك فصل بها بين الحشر و الصف،مع تآخيهما فى الافتتاح ب سَبَّحَ .

ص: 124

سورة الصف

أقول:فی سورة الممتحنة ذکر الجهاد فی سبیل اللّه،و بسطه فی هذه السورة أبلغ بسط.

ص: 125

سورة الجمعة

أقول:ظهر لی فی وجه اتصالها بما قبلها:أنه تعالی لما ذکر فی سورة الصف حال موسی مع قومه،و أذاهم له،ناعیا علیهم ذلک،ذکر فی هذه السورة حال الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم،و فضل أمته،تشریفا لهم،لیظهر فضل ما بین الأمتین،و لذا لم یعرض فیها لذکر الیهود.

و أیضا لما ذکر هناک قول عیسی: وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ [6]

.قال هنا: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ [2]

.إشارة إلی أنه الذی بشر به عیسی.و هذا وجه حسن فی الربط.

و أیضا لما ختم تلک السورة بالأمر بالجهاد و سماه تجارة،ختم هذه بالأمر بالجمعة،و أخبر أنها خیر من التجارة الدنیویة.

و أیضا:فتلک سورة الصف،و الصفوف تشرع فی موضعین:

القتال،و الصلاة،فناسب تعقیب سورة صف القتال بسورة صلاة تستلزم الصف ضرورة،و هی الجماعة،لأن الجماعة شرط فیها،دون سائر الصلوات.

فهذه وجوه أربعة فتح اللّه بها.

سورة المنافقون

أقول:وجه اتصالها بما قبلها:أن سورة الجمعة ذكر فيها المؤمنون،و هذه ذكر فيها أضدادهم،و هم المنافقون.و لهذا أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة:أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يقرأ فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة يحرض بها المؤمنين،و بسورة المنافقين يفزع بها المنافقين.

و تمام المناسبة أن السورة التى بعدها فيها ذكر المشركين،و السورة التى قبل الجمعة فيها ذكر أهل الكتاب من اليهود و النصارى.و التى قبلها و هى الممتحنة فيها ذكر المعاهدين من المشركين.و التى قبلها و هى الحشر فيها ذكر المعاهدين من أهل الكتاب،فإنها نزلت فى بنى النضير حين نبذوا العهد و قوتلوا.

و بذلک اتضحت المناسبة فى ترتيب هذه السور الست هكذا، لاشتمالها على أصناف الأمم،و فى الفصل بين المسبحات بغيرها،لأن إيلاء سورة المعاهدين من أهل الكتاب بسورة المعاهدين من المشركين أنسب من غيره.و إيلاء سورة المؤمنين بسورة المنافقين أنسب من غيره.

فظهر بذلک أن الفصل بين المسبحات التى هى نظائر لحكمة دقيقة من لدن حكيم خبير،فلله الحمد على ما فهم و ألهم.

هذا و قد ورد عن ابن عباس فى ترتيب النزول:أن سورة التغابن نزلت عقب الجمعة،و تقدم نزول سورة«المنافقون»فما فصل بينهما إلا لحكمة و اللّه أعلم.

ص: 127

سورة التغابن

أقول:لما وقع فى آخر سورة المنافقون: وَ أَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ [10]

.الآيـة.عقب بسورة التغابن،لأنه قيل فى معناه:إن الإنسان يأتى يوم القيامة،و قد جمع مالا،و لم يعمل فيه خيرا،فأخذه وارثه بسـهولة،من غير مشقة فى جمعه،فأنفقه فى وجوه الخير،فالجامع محاسب معذب مع تعبه فى جمعه،و الوارث منعّم مثاب، مع سهولة وصوله إليه.و ذلک هو التغابن.

فارتباطه بآخر السورة المذكورة فى غاية الوضوح.و لهذا قال هنا:

وَ أَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [16].

و أيضا ففى آخر تلک: لاٰ تُلْهِكُمْ أَمْوٰالُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ [9]

.و فى هذه: إِنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ [15]

.و هذه الجملة كالتعليل لتلک الجملة،و لذا ذكرت على ترتيبها.

و قال بعضهم:لما كانت سورة المنافقون رأس ثلاث و ستين سورة، أشير فيها إلى وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بقوله: وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذٰا جٰاءَ أَجَلُهٰا [11]

.فإنه مات على رأس ثلاث و ستين سنة،و عقبها بالتغابن،ليظهر التغابن فى فقده صلّى اللّه عليه و سلّم.

سورة الطلاق

أقول:لما وقع فی سورة التغابن: إِنَّ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ وَ أَوْلاٰدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ [14]

.و كانت عـداوة الأزواج تفضـی الی الطلاق،و عداوة الأولاد قد تفضـی إلی القسوة،و ترک الإنفاق علیهم،عقب ذلک بسورة فیها ذکر أحکام الطلاق،و الإنفاق علی الأولاد و المطلقات بسببهم.

ص: 129

سورة التحريم

أقول:هذه السورة متآخية مع التى قبلها بالافتتاح بخطاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم،و تلك مشتملة على طلاق النساء،و هذه على تحريم الإيلاء،و بينهما من المناسبة ما لا يخفى.

و لما كانت تلك فى خصام نساء الأمة،ذكر فى هذه خصومة نساء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم،إعظاما لمنصبهن أن يذكرن مع سائر النسوة،فأفردن بسورة خاصة،و لهذا ختمت بذكر امرأتين فى الجنة:آسية امرأة فرعون،و مريم ابنة عمران (1) .

1- 1) و ذلک فی قوله تعالی: وَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِینَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ التحریم[/66 11] .راجع تفسیر القرطبی(201/18).

سورة تبارک

أقول:ظهر لی بعد الجهد:أنه لما ذکر آخر التحریم امرأتی نوح و لوط الکافرتین،و امرأة فرعون المؤمنة،افتتحت هذه السورة بقوله:

اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیٰاةَ [2]

.مرادا بهما الکفر و الإیمان فی أحد الأقوال،للإشارة إلی أن الجمیع بخلقه و قدرته،و لهذا کفرت امرأتا نوح و لوط،و لم ینفعهما اتصالهما بهذین النبیین الکریمین،و آمنت امرأة فرعون، و لم یضرها اتصالها بهذا الجبار العنید،لما سبق فی کل من القضاء و القدر.

و وجه آخر،و هو أن«تبارک»متصل بقوله فی آخر الطلاق: اَللّٰهُ الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ [12]

.فزاد ذلک بسطا فی هذه الآیة: اَلَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً مٰا تَریٰ فِی خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَریٰ مِنْ فُطُورٍ إلی قوله: وَ لَقَدْ زَیَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْیٰا بِمَصٰابِیحَ [3-5]

.و إنما فصلت بسورة التحریم لأنها کالتتمة لسورة الطلاق.

سورة ن

أقول:لما ذكر سبحانه فی آخر تبارک التهدید بتغویر الماء (1)، استظهر علیه فی هذه السورة بإذهاب ثمر أصحاب البستان فی لیلة یطاف علیه فیها،و هم نائمون،فأصبحوا لم یجدوا له أثرا،حتی ظنوا أنهم ظلوا الطریق (2). و اذا کان هذا فی الثمار و هی أجرام کثیفة،فالماء الذی هو لطیف رقیق أقرب إلی الإذهاب،و لهذا قال: وَ هُمْ نٰائِمُونَ* فَأَصْبَحَتْ کَالصَّرِیمِ [19-20]

.و قال هناک: إِنْ أَصْبَحَ مٰاؤُکُمْ غَوْراً [30]

.إشارة إلی أنه یسری علیه فی لیلة کما سری علی الثمرة فی لیلة.

---

1 - 1) تغویر الماء:جفافه،و قد ورد فی قوله تعالی: قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مٰاؤُکُمْ غَوْراً فَمَنْ یَأْتِیکُمْ بِمٰاءٍ مَعِینٍ [30/67] .راجع تفسیر الصابونی(1591/29).

2- 2) قال تعالی فی سورة القلم(17/68-31): إِنّٰا بَلَوْنٰاهُمْ کَمٰا بَلَوْنٰا أَصْحٰابَ الْجَنَّةِ . راجع التفسیر الکبیر للفخر الرازی(87/30).

سورة الحاقة

أقول:لما وقع فى«ن»ذكر يوم القيامة مجملا فى قوله: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سٰاقٍ [42]

.الآية.شرح ذلک فى هذه السورة بناء على هذا اليوم،و شأنه العظيم.

ص: 133

سورة سأل

أقول:هذه السورة كالتتمة لسورة الحاقة فى بقية وصف يوم القيامة و النار.

و قال ابن عباس:إنها نزلت عقب سورة الحاقة،و ذلک أيضا من وجوه المناسبة فى الوضع.

ص: 134

سورة نوح

أقول:أكثر ما ظهر فى وجه اتصالها بما قبلها بعد طول الفكر أنه سبحانه لما قال فى(سأل): إِنَّا لَقَادِرُونَ* عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ [41]

.عقبه بقصة قوم نوح،المشتملة على إبادتهم عن آخرهم،بحيث لم يبق منهم ديار و بدل خيرا منهم،فوقع الاستدلال لما ختم به تبارک.

هذا مع تآخى مطلع السورتين فى ذكر العذاب الموعد به الكافرين.

ص: 135

سورة الجن

أقول:قد فكرت مدة فى وجه اتصالها بما قبلها،فلم يظهر لى سوى أنه قال فى سورة نوح: اِسۡتَغۡفِرُوا رَبَّكُمۡ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرۡسِلِ السَّمَاءَ عَلَيۡكُمۡ مِدۡرَاراً [10-11]

.و قال فى هذه السورة: وَ أَنۡ لَوِ اسۡتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَاهُمۡ مَاءً غَدَقاً [16]

.و هذا وجه بين فى الارتباط.

ص: 136

سورة المزمل

أقول:لا يخفى وجه اتصال أولها: قُمِ اللَّيْلَ [2]

.بقوله فى آخر تلك: وَ أَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ [19]

.و بقوله: وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ [18].

ص: 137

سورة المدثر

أقول هذه متآخية مع السورة التى قبلها فى الافتتاح بخطاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم،و صدر كليهما نازل فى قصة واحدة.

و قد ذكر عن ابن عباس فى ترتيب نزول السور:أن المدثر نزلت عقب المزمل.أخرجه ابن الضريس.و أخرجه غيره عن جابر بن زيد.

ص: 138

سورة القيامة

أقول:لما قال سبحانه فى آخر المدثر: كَلاّ بَلْ لاٰ يَخٰافُونَ الآخِرَةَ [53]

.بعد ذكر الجنة و النار،[و لما]

كان عـدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث،ذكر فى هذه السورة الدليل على البعث،و وصف يوم القيامة،و أهواله،و أحواله،ثم ذكر ما قبل ذلک من مبدأ الخلق.

فذكرت الأحوال فى هذه السورة على عكس ما هى فى الواقع.

ص: 139

سورة الانسان

أقول:وجه اتصالها بسورة القيامـة فى غاية الوضوح.فإنه تعالى ذكر فى آخر تلك مبدأ خلق الإنسان من نطفة،ثم ذكر مثل ذلک فى مطلع هذه السورة،مفتتحا بخلق آدم أبى البشر.

و لما ذكر هناک خلقه منهما،قال هنا: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ [39]

.و لما ذكر هناک خلقه منهما،قال هنا: فَجَعَلْنٰاهُ سَمِيعاً بَصِيراً [2]

،فعلق به غير ما علق بالأول،ثم رتب عليه هداية السبيل،و تقسيمه إلى شاكر و كفور،ثم أخذ فى جزاء كل.

و وجه آخر،هو أنه لما وصف حال يوم القيامة فى تلک السورة،و لم يصف فيها حال النار و الجنة،بل ذكرهما على سبيل الإجمال،فصـلهما فى هذه السورة،و أطنب فى وصف الجنة،و ذلک كله شرح لقوله تعالى هناک: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ [22]

.و قوله هنا: إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ سَلاٰسِلَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِيراً [4]

.شرح لقوله هناک: تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهٰا فٰاقِرَةٌ [25]

.

و قد ذكر هناک: كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ* وَ تَذَرُونَ الآخِرَةَ [20-21]

و ذكر هنا فى هذه السورة: إِنَّ هٰؤُلاٰءِ يُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً [27]

.و هذا من وجوه المناسبة.

سورة المرسلات

أقول:وجه اتصالها بما قبلها.انه تعالى لما أخبر فى خاتمتها،أنه:

يُدْخِلُ مَنْ يَشٰاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظّٰالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً [31]

،افتتح هذه بالقسم على أن ما يوعدون واقع،فكان ذلک تحقيقا لما وعد به هناک المؤمنين،و أوعد الظالمين.

ثم ذكر وقته و أشراطه بقوله: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ [8]

إلى آخره.

و يحتمل أن تكون الإشارة بما يوعدون إلى جميع ما تضمنته السورة من وعيد للكافرين،و وعد للأبرار.

ص: 141

سورة عم

أقول:وجه اتصالها بما قبلها:تناسبها معها فى الجمل.ففى تلك: أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ* ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ [17-18]

. أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ [20]

أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً [25].

إلى آخره.و فى عم: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً [6]

إلى آخره.

فذلک نظير تناسب جمل:أ لم نشرح،و الضحى،بقوله فى الضحى:

أَ لَمْ يَجِدْکَ يَتِيماً فَآوىٰ [6]

إلى آخره.و قوله: أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ [1]

.مع اشتراک هذه السورة و الأربع قبلها فى الاشتمال على وصف الجنة و النار،ما عدا المدثر فى الاشتمال على وصف يوم القيامة و أهواله،و على ذكر بدء الخلق،و إقامة الدليل على البعث.

و أيضا فى سورة المرسلات: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ* لِيَوْمِ الْفَصْلِ* وَ ما أَدْراکَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ [12-14]

.و فى هذه السورة: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ کانَ مِيقاتاً* يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً [17-18]

، إلى آخره.فكأن هذه السورة شرح يوم الفصل المجمل[الذى]

ذكره فى السورة التى قبلها.

سورة عبس

أقول:وجه وضعها عقب النازعات مع تآخيهما فى المقطع،لقوله هناک: فَإِذٰا جٰاءَتِ الطَّامَّةُ [34]

.و قوله هنا: فَإِذٰا جٰاءَتِ الصَّاخَّةُ [33]

.و هما من أسماء يوم القيامة.

ص: 143

سورة التكوير

أقول:لما ذكر فى عبس: فَإِذٰا جٰاءَتِ الصَّاخَّةُ* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ [34-35]

الآيات.ذكر يوم القيامـة كأنه رأى عين.و فى الحـديث:«من سـره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ و إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ و إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ .

ص: 144

سورة الانفطار

أقول:قد عرف مما ذكرت وجه وضعها هنا،مع زيادة تآخيهما فى المقطع.

ص: 145

سورة المطففين

أقول:الفصل بهذه السورة بين الانفطار و الانشقاق التى هى نظيرتها من خمسة أوجه:الافتتاح ب إِذَا السَّمٰاءُ ،و التخلص ب يٰا أَيُّهَا الْإِنْسٰانُ ،و شرح حال يوم القيامة،و لهذا ضمت بالحديث السابق، و التناسب فى المقدار،و كونها مكية.

و هذه السورة مدنية،و مفتتحها و مخلّصـها غير ما لها،لنكتة ألهمنيها اللّه.و ذلک أن السور الأربع لما كانت فى صفة حال يوم القيامة،ذكرت على ترتيب ما يقع فيه.

فغـالب مـا وقع فى التكوير،و جميع مـا وقع فى الانفطار،وقع فى صـدر يوم القيامـة،ثم بعـد ذلک يكون الموقف الطويل،و مقاساة العرق و الأهوال،فذكره فى هذه السورة بقوله: يَوْمَ يَقُومُ النّٰاسُ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ [6]

.و لهذا ورد فى الحديث:(يقوم أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه) (1) .

ثم بعد ذلک تحصل الشفاعة العظمى،فتنشر الكتب،فأخذ باليمن،و أخذ بالشمال،و أخذ من وراء الظهر،ثم بعد ذلک يقع الحساب.

هكذا وردت بهذا الترتيب الأحاديث،فناسب تأخير سورة الانشقاق

1- 1) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه(208/6)عن ابن عمر.

التی فیها إتیان الکتب و الحساب،عن السورة التی قبلها،و التی فیها ذکر الموقف عن التی فیها مبادئ یوم القیامة.

و وجه آخر،و هو:أنه جل جلاله لما قال فی الانفطار: وَ إِنَّ عَلَیْکُمْ لَحٰافِظِینَ* کِرٰاماً کٰاتِبِینَ (1) [11-12]

.و ذلک فی الدنیا، ذکر فی هذه السورة حال ما یکتبه الحافظان،و هو:کتاب مرقوم جعل فی علیین،أو فی سجین،و ذلک أیضا فی الدنیا،لکنه عقّب بالکتابة،إما فی یومه،أو بعد الموت فی البرزخ کما فی الآثار.فهذه حالة ثانیة فی الکتاب ذکرت فی السورة الثانیة.

و له حالة ثالثة متأخرة فیها،و هی أخذ صاحبه بالیمین أو غیرها، و ذلک یوم القیامة،فناسب تأخیر السورة التی فیها ذلک،عن السورة التی فیها الحالة الثانیة،و هی الانشقاق،فلله الحمد علی ما منّ بالفهم لأسرار کتابه.

ثم رأیت الإمام فخر الدین قال فی سورة المطففین أیضا:اتصال أولها بآخر ما قبلها ظاهر،لأنه تعالی بیّن هناک أن یوم القیامة من صفته:

لاٰ تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً وَ الْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ .و ذلک یقتضی تهدیدا عظیما للعصاة،فلهذا أتبعه بقوله: وَیْلٌ لِلْمُطَفِّفِینَ الآیات.

1- 1) راجع تفسیر هذه الآیة فی الجامع لأحکام القرآن للقرطبی(245/19).بتصرف.

سورة الانشقاق

قد استوفى الكلام فيها فى سورة المطففين.

ص: 148

سورتا البروج و الطارق

أقول:هما متآخيتان فقرنتا،و قدمت الأولى لطولها،و ذكرتا بعد الانشقاق للمؤاخاة فى الافتتاح بذكر السماء،و لهذا ورد فى الحديث ذكر السموات مرادا بها السور الأربع (1)،كما قيل:المسبحات.

ص: 149

---

1 - 1) أخرجه أحمد فى مسنده(327/2)أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمر أن يقرأ بالسماوات فى العشاء.. و السموات:السور الأربع المفتتحة بذكر السماء.

سورة الأعلى

أقول:فی سورة الطارق ذکر خلق[النبات]

و الإنسان فی قوله:

وَ الْأَرْضِ ذٰاتِ الصَّدْعِ [12]

:[و قوله: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ إِلى إِنَّهُ عَلىٰ رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ [6-8]

.و ذکره فی هذه السورة فی قوله: خَلَقَ فَسَوّٰى [2]

.و قوله فی النبات: وَ الَّذِی أَخْرَجَ الْمَرْعىٰ* فَجَعَلَهُ غُثٰاءً أَحْوىٰ (1) [3-4]

.و قصة النبات فی هذه السورة أبسط،کما أن قصة الإنسان هناک أبسط.نعم،ما فی هذه السورة أعم،من جهة شموله للإنسان و سائر المخلوقات.

1- 1) راجع التسهیل لعلوم التنزیل(193/4)و روح المعانی للآلوسی(104/30).

سورة الغاشية

أقول:لما أشار سبحانه فى سورة الأعلى بقوله: سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ* وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى* اَلَّذِى يَصْلَى النّٰارَ الْكُبْرىٰ إلى قوله:

وَ الآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ [10-17]

.إلى المؤمن و الكافر،و النار و الجنة إجمالا،فصل ذلک فى هذه السورة.فبسط صفة النار و الجنة مستندة إلى أهل كل منهما،على نمط ما هنالک،و لذا قال[هنا]

: عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ [3]

.فى مقابل: اَلْأَشْقَى [10]

[هناک]

.و قال[هنا]:

تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً [4]

إلى: لاٰ يُسْمِنُ وَ لاٰ يُغْنِى مِنْ جُوعٍ [7]

.فى مقابلة: يَصْلَى النّٰارَ الْكُبْرىٰ [12]

[هناک]

.و لما قال [هناک]

فى الآخرة: خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ [16]

.بسط[هنا]

صفة الجنة أكثر من صفة النار،تحقيقا لمعنى الخيرية.

سورة الفجر

أقول:لم يظهر لى من وجه ارتباطها سوى أن أولها كالإقسام على صحة ما ختم به السورة التى قبلها،من قوله جل جلاله: إِنَّ إِلَيْنٰا إِيٰابَهُمْ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا حِسٰابَهُمْ [25-26]

.و على ما تضمنه من الوعد و الوعيد.كما أن أول الذاريات قسم على تحقيق ما فى(ق)،و أول النازعات قسم على تحقيق ما فى(عم).

هذا مع أن جملة أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّکَ [6]

هنا،مشابهة لجملة أَ فَلاٰ يَنْظُرُونَ [17]

هناک.

سورة البلد

أقول:وجه اتصالهـا بما قبلها.انه لما ذم فيها من أحب المال، و أكثر التراث،و لم يحض على طعام المسـكين،ذكر فى هـذه السورة الخصال التى تطلب من صاحب المال،من فك الرقبة،و الإطعام فى يوم ذى مسغبة (1) .

1- 1) المسغبة:المجاعة.

سور:الشمس و الليل و الضحى

أقول:هذه الثلاث حسنة التناسق جدا،لما فى مطالعها من المناسبة،لما بين الشمس و الليل و الضحى من الملابسة،و منها سورة الفجر،لكن فصلت بسورة البلد لنكتة أهم،كما فصل بين الانفطار و الانشقاق و بين المسبحات،لأن مراعاة التناسب بالأسماء و الفواتح و ترتيب النزول،إنما يكون حيث لا يعارضها ما هو أقوى و آكد (1) فى المناسبة.

ثم إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد،فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة،و أصحاب المشأمة،أراد الفريقين فى سورة الشمس على سبيل الفذلكة.فقوله[فى الشمس]

: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا [9]

.هم أصحاب الميمنة فى سورة البلد،و قوله: وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا [10]

[فى الشمس]

،هم أصحاب المشأمة فى سورة البلد،فكانت هذه السورة فذلكة تفصيل تلك السورة:و لهذا قال الإمام:المقصود من هذه السورة:الترغيب فى الطاعات،و التحذير من المعاصى.

و نزيد فى سورة الليل:أنها تفصيل إجمال سورة الشمس،فقوله:

فَأَمّٰا مَنْ أَعْطىٰ وَ اتَّقىٰ [5]

و ما بعدها،تفصيل قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا .و قوله: وَ أَمّٰا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنىٰ [8]

الآيات،تفصيل قوله: وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا .

1- 1) آكد:أكثر تأكيدا.

و نزيد فى سورة الضحى:أنها متصلة بسورة الليل من وجهين.فإن فيها: وَ إِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَ الْأُولىٰ [13]

.و فى الضحى: وَ لَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولىٰ [4]

.و فى الليل: وَ لَسَوْفَ يَرْضىٰ [21].

و فى الضحى: وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضىٰ [5].

و لما كانت سورة الضحى نازلة فى شأنه صلّى اللّه عليه و سلّم،افتتحت بالضحى، الذى هو نور.و لما كانت سورة الليل سورة أبى بكر،يعنى:ما عدا قصة البخيل،و كانت سورة الضحى سورة محمد،عقب بها،و لم يجعل بينهما واسطة،ليعلم ألا واسطة بين محمد و أبى بكر.

سورة أ لم نشرح

أقول:هى شديدة الاتصال بسورة الضحى،لتناسبهما فى الجمل.

و لهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما (1) .قال الإمام:و الذى دعاهم إلى ذلک هو:أن قوله: أَ لَمْ نَشْرَحْ كالعطف على: أَ لَمْ يَجِدْکَ يَتِيماً فَآوىٰ [6]

[فى الضحى]

.

قلت:و فى حديث الإسراء أن اللّه تعالى قال:«يا محمد،أ لم أجدک يتيما فآويت،و ضالا فهديت،و عائلا فأغنيت،و شرحت لک صدرک،و حططت عنک وزرک،و رفعت لک ذکرک،فلا أذکر إلا ذکرت»الحديث.أخرجه ابن أبى حاتم.و فى هذا أوفى دليل على اتصال السورتين معنى.

1- 1) راجع مختصر ابن كثير(652/3)و البحر المحيط لأبى حيان(487/8).

سورة التين

أقول:لما تقدم فى سورة الشمس: وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها [3].

فصل فى هذه السورة بقوله: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ [4-5]إلى آخره.

و أخرت هذه السورة لتقدم ما هو أنسب بالتقديم من السور الثلاث،و اتصالها بسورة البلد لقوله: وَ هذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ [3].

و أخرت لتقدم ما هو أولى بالمناسبة مع سورة الفجر.

لطيفة:

نقل الشيخ تاج الدين بن عطاء اللّه السكندرى فى«لطائف المنن» عن الشيخ أبى العباس المرسى،قال:قرأت مرة: وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ إلى أن انتهيت إلى قوله: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ (1) [4-5]

.ففكرت فى معنى هذه الآية، فألهمنى اللّه أن معناها (2) :لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم روحا و عقلا،ثم رددناه أسفل سافلين نفسا و هوى.

قلت:فظهر من هذه المناسبة وضعها بعد أَ لَمْ نَشْرَحْ .فإن تلك أخبر فيها عن شرح صدر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم،و ذلك يستدعى كمال عقله و روحه،فكلاهما فى القلب الذى محله الصدر،و عن خلاصه من الوزر

1- 1) راجع جامع البيان للطبرى(156/30)و ما بعدها،و القرطبى(115/20)ط.دار الكتب،و الدر المنثور(367/6).

2- 2) و هذا من اجتهاد المؤلف رحمه اللّه.

الذى ينشأ من النفس و الهوى،و هو معصوم منهما،و عن رفع الذكر، حيث نزه مقامه عن كل موهم.

فلمـا كانت هـذه السورة فى هـذا العلم الفرد من الإنسان،أعقبها بسورة مشـتملة على بقيـة الأناسـى،و ذكر ما خامرهم فى متابعـة النفس و الهوى.

ص: 158

سورة العلق

أقول:لما تقدم فى سورة التين بيان خلق الإنسان فى أحسن تقويم، بين هنا أنه تعالى: خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ (1) [2]

.و ذلک ظاهر الاتصال،فالأول بيان العلة الصورية،و هذا بيان العلة المادية.

1- 1) راجع تفسير البحر المحيط(491/8)و الجامع لأحكام القرآن(119/19)و ما بعدها و الألوسى فى روح المعانى(188/30).

سورة القدر

قال الخطابى:لما اجتمع اصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على القرآن،و وضعوا سورة القدر عقب العلق،استدلوا بذلک على أن المراد بهاء الكناية فى قوله: إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) [1]

.الإشارة إلى قوله:

اِقْرَأْ .

قال القاضى أبو بكر بن العربى (2) :و هذا بديع جدا.

1- 1) راجع تفسير القرطبى(129/20)ط.دار الكتب المصرية..

2- 2) أبو بكر بن العربى:هو محمد بن عبد اللّه بن محمد المعافرى الإشبيلى المالكى،أبو بكر ابن العربى:قاص،من حفاظ الحديث،ولد فى إشبيلية،و رحل إلى المشرق،و برع فى الأدب،و بلغ رتبة المجتهدين،و كان فقيها حافظا أصوليا مؤرخا،أديبا،ولى قضاء إشبيلية،و مات بقرب مدينة فاس،و دفن فيها سنة 543 ه.و هو آخر قضاة الأندلس و علمائها و أئمتها. راجع طبقات الحفاظ للسيوطى،و نفح الطيب(340/1)و وفيات الأعيان لابن خلكان(489/1)و قضاة الأندلس(105)،و الوافى بالوفيات(30/3).

سورة لم يكن

أقول:هذه السورة واقعة موقع العلة لما قبلها،كأنه لما قال سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْنٰاهُ [1]

.قيـل:لم أنزل؟فقيـل:لأـنه لم يكن الـذين كفروا منفكين عن كفرهم،حتى تـأتيهم البينـة،و هو رسول من اللّه يتلو صـحفا مطهرة.و ذلک هو المنزّل.

و قد ثبتت الأحاديث بأنه كان فى هذه السورة قرآن نسخ رسمه و هو:

إنـا أنزلنا المال لإقامـة الصـلاة و إيتاء الزكاة،و لو أن لابن آدم واديا لابتغى اليه الثانى،و لو أن له الثانى لابتغى إليه الثالث،و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب،و يتوب اللّه على من تاب.

و بذلک تشتد المناسبة بين هذه السورة و بين ما قبلها،حيث ذكر هناک إنزال المال،و تكون السورتان تعليلا لما تضمنته سورة اقرأ،لأن أولها ذكر العلم،و فى أثنائها ذكر المال.فكأنه قيل:إنا لم ننزل المال للطغيان و الاسـتطالة و الفخر،بل ليسـتعان به على تقوانا،و إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة.

سورة الزلزلة

أقول:لمـا ذكر فى آخر لَمْ يَكُنِ أن جزاء الكافرين جهنم، و جزاء المؤمنين جنات،فكأنه قيل:متى يكون ذلک؟فقيل: إِذٰا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزٰالَهٰا [1]

.أى[حين]

تكون زلزلة الأرض،إلى آخره.

هكـذا ظهر لى،ثم لمـا راجعت تفسـير الإمام الرازى،و رأيته ذكر نحوه حمـدت اللّه كثيرا.و عبارته:ذكروا فى مناسـبة هـذه السورة لما قبلها وجوها منها:أنه تعالى لما قال: جَزٰاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ [8]

.فكأن المكلف قال:و متى يكون ذلک يا رب؟فقال: إِذٰا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ .

و منها:أنه لما ذكر فيها وعيـد الكافرين،و وعد المؤمنين،أراد أن يزيد فى وعيد الكافرين فقال: إِذٰا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ .و نظيره: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ .ثم ذكر ما للطائفتين فقال: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ إلى آخره.ثم جمع بينهما هنا فى آخر السورة بذكر الذى يعمل الخير و الشر.انتهى.

سورة العاديات

أقول:لا يخفى ما بين قوله فى الزلزلة: أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها [2]

.و قوله فى هذه السورة: إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ [9]

.من المناسبة و العلاقة.

ص: 163

سورة القارعة

قال الإمام:لما ختم اللّه سبحانه السورة السابقة بقوله: إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ [11]

.فكأنه قيل:و ما ذاک؟فقال:هى القارعة.

قال:و تقديره ستأتيک القارعة على ما أخبرت عنه بقولى: إِذٰا بُعْثِرَ مٰا فِى الْقُبُورِ [9]

.

ص: 164

سورة التكاثر

أقول:هذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها،كأنه لما قال هناک: فَأُمُّهُ هٰاوِيَةٌ [9]

.قيل:لم ذلک؟فقال:لأنكم أَلْهٰاكُمُ التَّكٰاثُرُ [1]

.فاشتغلتم بدنياكم،و ملأتم موازينكم بالحطام،فخفت موازينكم بالآثام،و لهذا عقبها بسورة العصر،المشتملة على أن الإنسان فى خسر،بيان لخسارة تجارة الـدنيا،و ربـح تجارة الآخرة،و لهذا عقبها بسورة الهمزة،المتوعّد فيها من جمع مالا و عدّده،يحسب أن ماله أخلده.فانظر إلى تلاحم هذه السور الأربع،و حسن اتساقها.

سورة الفيل

ظهر لی فی وجه اتصالها بعـد الفكرة:انه تعالی لما ذكر حال الهمزة اللّمزة،الـذی جمع مالا و عـدّده،و تعزز بماله و تقوّی،عقب ذلک بذكر قصـة أصـحاب الفيل،الـذين كانوا أشـد منهم قوة،و أكثر أموالا و عتوا، و قد جعل كيدهم فی تضـليل،و أهلكهم بأصـغر الطير و أضـعفه،و جعلهم كعصف مأكول،و لم يغن عنهم مالهم و لا عزهم و لا شوكتهم،و لا فيلهم شيئا.

فمن كان قصارى تعزّزه و تقويه بالمال،و همز الناس بلسانه،أقرب إلى الهلاک،و أدنى الى الذلة و المهانة.

ص: 166

سورة قريش

هى شديدة الاتصال بما قبلها،لتعلق الجار و المجرور فى أولها بالفعل فى آخر تلک.و لهذا كانتا فى مصحف أبىّ سورة واحدة (1) .

---

1 - 1) و قد نقله السيوطى عن السخاوى فى كتاب(جمال القراء)عن جعفر الصادق،و أبى نهيک.و قال:و يراده إلى ما أخرجه الحاكم و الطبرانى من حديث أم هانئ أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال:فضل اللّه قريشا بسبع...و ان اللّه أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم:لإيلاف قريش.و مع ذلک فإن صلة قريش بالفيل قائمة..فكان ما فعل اللّه بأصحاب الفيل كن لِإِيلاٰفِ قُرَيْشٍ و لتأمين طريق تجارتهم فى رحلتى الشتاء و الصيف و قد كان من أهداف أبرهة السياسية حرمان قريش من تجارتهم هذه.من حاشية المطبوعة، بتصرف.

سورة الماعون

أقول:لما ذكر تعالى فى سورة قريش: اَلَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ [4]

.ذكر هنا ذم من لم يحض على طعام المسكين.

و لما قال هناک: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ [3]

.ذكر هنا من سها عن صلاته (1) .

1- 1) و من أخطر ما نلفت النظر اليه فى هـذه الآيـة تسـمية الحق تبارک و تعالى مانع العون مكذبا بالدين،مبالغة فى إهانته،و هذه السورة جميعها تسير مع الخط الذى يبدأ من سورة الزلزلة،و هى ترشد الى طريق الإنفاق الصحيحة للمال،و بذله فى الوجوه المشروعة.

سورة الكوثر

قال الإمام فخر الـدين:هى كالمقابلـة للتى قبلها،لأن السابقـة وصف اللّه سـبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور:البخل،و ترک الصـلاة، و الرياء فيها،و منع الزكاة.و ذكر فى هذه السورة فى مقابلة البخل: إِنّٰا أَعْطَيْنٰاکَ الْکَوْثَرَ [1]

.أى:الخير الكثير.و فى مقابلة ترک الصلاة.

فَصَلِّ [2]

.أى:دم عليها.و فى مقابلة الرياء: لِرَبِّکَ [2]

.أى:لرضاه،لا للناس.و فى مقابلة منع الماعون: وَ انْحَرْ [2]

.و أراد به:التصدق بلحوم الأضاحى.قال:فاعتبر هذه المناسبة العجيبة.

سورة الكافرون

أقول:وجه اتصالها بما قبلها:أنه تعالى لما قال: فَصَلِّ لِرَبِّکَ أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه،و لا يعبد ما يعبدون، و بالغ فى ذلک فكرر،و انفصل منهم على أن لهم دينهم و له دينه.

ص: 170

سورة النصر

أقول:وجه اتصالها بما قبلها:أنه قال فی آخر ما قبلها: وَ لِیَ دِینِ .فکان فیه إشعار بأنه خلص له دینه،و سلم من شوائب الکفار و المخالفین،فعقب ببیان وقت ذلک،و هو مجیء الفتح و النصر،فإن الناس حین دخلوا فی دین اللّه أفواجا،فقد تم الأمر،و ذهب الکفر، و خلص دین الإسلام ممن کان یناوئه،و لذلک کانت السورة إشارة إلی وفاته صلّی اللّه علیه و سلّم (1) .

و قال الإمام فخر الدین:کأنه تعالی یقول:لما أمرتک فی السورة المتقدمة بمجاهدة جمیع الکفار،بالتبری منهم،و إبطال دینهم،جزیتک علی ذلک بالنصر و الفتح،و تکثیر الاتباع.

قال:و وجه آخر،و هو:أنه لما أعطاه الکوثر،و هو:الخیر الکثیر،ناسب تحمیله مشقاته و تکالیفه،فعقبها بمجاهدة الکفار،و التبری منهم.فلما امتثل ذلک أعقبه بالبشارة بالنصر و الفتح،و إقبال الناس أفواجا الی دینه،و أشار إلی دنوّ أجله،فإنه لیس بعد الکمال إلا الزوال.

توقع زوالا إذا قیل تم

1- 1) الحدیث أخرجه الإمام البخاری فی صحیحه(220/6،221).

سورة تبت

قال الإمام:وجه اتصالها بما قبلها:أنه لما قال: لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ [6]

:فكأنه قيل:إلهى،و ما جزائى؟فقال اللّه له:النصر و الفتح.فقال:و ما جزاء عمى الذى دعانى إلى عبادة الأصنام؟فقال:

تَبَّتْ يَدٰا أَبِى لَهَبٍ [1]

الآيات.

و قدم الوعد على الوعيد ليكون النصر معللا بقوله: وَ لِيَ دِينِ .

و يكون الوعيد راجعا إلى قوله: لَكُمْ دِينُكُمْ .على حد قوله: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ .

قال:فتأمل فى هذه المجانسة الحافلة بين هذه السور،مع أن سورة النصر من أواخر ما نزل بالمدينة،و الكافرون و تبت من أوائل ما نزل بمكة،ليعلم أن ترتيب هذه السور من اللّه،و بأمره.

قال:و وجه آخر،و هو:أنه لما قال: لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ كأنه قيل:يا إلهى،ما جزاء المطيع؟قال:حصول النصر و الفتح.

فقيل:و ما ثواب العاصى؟قال:الخسارة فى الدنيا،و العقاب فى العقبى (1) ،كما دلت عليه سورة تبّت.

1- 1) العقبى:الآخرة.

سورة الاخلاص

قال بعضهم:وضعت هاهنا للوزان فى اللفظ بين فواصلها و مقطع سورة تبّت.

و أقول:ظهر لى هنا غير الوزان فى اللفظ:أن هذه السورة متصلة ب قُلْ يٰا أَيُّهَا الْكٰافِرُونَ فى المعنى.و لهذا قيل:من أسمائها أيضا الإخلاص.و قد قالوا:إنها اشتملت على التوحيد (1) ،و هذه أيضا مشتملة عليه.و لهذا قرن بينهما فى القراءة فى الفجر،و الطواف، و الضحى،و سنة المغرب،و صبح المسافر،و مغرب ليلة الجمعة (2) .

و ذلک أنه لما نفى عبادة ما يعبدون،صرح هنا بلازم ذلک،و هو أن معبوده أحد،و أقام الدليل عليه بأنه صمد لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ و لا يستحق العبادة إلا من كان كذلک،و ليس فى معبوداتهم ما هو كذلک.

و إنما فصل بين النظيرتين بالسورتين (3) لما تقدم من الحكمة،و كأن إيلاءها سورة تبت ورد عليه بخصوصه.

1- 1) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى(175/31)و البحر المحيط(527/8)و الجامع لأحكام القرآن للقرطبى(243/20)ط.دار الكتب.

2- 2) راجع مجمع الزوائد للهيثمى(120/2)و المطالب العالية(398/3)و ما بعدها.

3- 3) أى بين سورتى الكافرين و الإخلاص،و سورتى النصر و تبت.

سورتا الفلق و الناس

أقول:هاتان السورتان نزلتا معا،كما فى الـدلائل للبيهقى.فلـذلک قرنتا،مع ما اشتركتا فيه من التسـمية بالمعوذتين،و من الافتتاح بقل أعوذ،و عقب بهما سورة الإخلاص،لأن الثلاث سميت فى الحديث بالمعوذات،و بالقوافل.

و قدمت الفلق على الناس-و إن كانت أقصر منها-لمناسبة مقطعها فى الوزان لفواصل الإخلاص مع مقطع تبت.

و هذا آخر ما منّ اللّه به علىّ من استخراج مناسبات ترتيب السور، و كله من مستنبطاتى (1) ،و لم أعثر فيه على شىء لغيرى إلا النزر اليسير الـذى صـرحت بعزوى له،فللّه الحمـد على مـا ألهم،و الشـكر على ما منّ به و أنعم،سـبحانک لا أحصـى ثناء عليک،أنت كما أثنيت على نفسک.

ثم رأيت الإمام فخر الدين (2) ذكر فى تفسيره كلاما لطيفا فى مناسبات هذه السور،فقال فى سورة الكوثر:

اعلم أن هذه السورة كالمتممة لما قبلها من السور،و كالأصل لما بعدها.

1- 1) أى من مستنبطات الإمام السيوطى.

2 - 2) هـو الإمـام الفخر الرازى،و اسـمه محمـد بن عمر بن الحسن بن الحسـين الـتيمى البكرى، أبو عبـد اللّه،فخر الـدين الرازى،الإمـام المفسـر،و هو وحيد زمانه،و يتيم عصـره قرشـى النسب،أصـله من طبرسـتان،و ولد فى الرى،و اليها انتسب توفى سـنة 606 ه.راجع وفيات الأعيان لابن خلكان(474/1)و ابن الوردى(127/2)و آداب اللغة(3/ 94)و لسان الميزان(426/4).

أما الأول،فلأنه تعالى جعل سورة الضحى فى مدح النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و تفصيل أحواله،فذكر فى أولها ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته. مٰا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ مٰا قَلیٰ* وَ لَلآْخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الْأُولیٰ* وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ [3-5]

.ثم ختمها بثلاثة أحوال من أحواله فيما يتعلق بالدنيا: أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآویٰ* وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدیٰ* وَ وَجَدَکَ عٰائِلاً فَأَغْنیٰ [6-8].

ثم ذكر فى سورة أَ لَمْ نَشْرَحْ أنه شرفه بثلاثة أشياء:شرح الصدر،و وضع الوزر،و رفع الذكر.

ثم شرفه فى سورة التين بثلاثة أشياء أنواع:أقسم ببلده،و أخبر بخلاص أمته من الناس بقوله: إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا [6].و وصولهم إلى الثواب بقوله: فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ [6].

و شرّفه فى سورة اقرأ بثلاثة أنواع: اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ .و قهر خصمه بقوله: فَلْیَدْعُ نٰادِیَهُ* سَنَدْعُ الزَّبٰانِیَةَ [18]

.و تخصيصه بالقرب فى قوله: وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ [19].

و شرفه فى سورة القدر بليلة القدر،و فيها ثلاثة أنواع من الفضيلة:

كونها خيرا من ألف شهر،و تنزل الملائكة و الروح فيها،و كونها سلاما حتى مطلع الفجر.

و شرفه فى(لم يكن)بثلاثة أشياء:أنهم خير البرية،و جزاؤهم جنات،و رضى عنهم.

و شرفه فى الزلزلة بثلاثة أنواع:إخبار الأرض بطاعة أمته،و رؤيتهم أعمالهم،و وصولهم إلى ثوابها حتى وزن الذرة.

و شرفه فى العاديات بإقسامه بخيل الغزاة من أمته،و وصفها بثلاث صفات.

و شرفه فی القارعة بثقل موازین أمته،و کونه فی عیشة راضیة، و رؤیتهم أعداءهم فی نار حامیة.

و فی ألهاکم التکاثر،عدد المعرضین عن دینه بثلاثة:یرون الجحیم،ثم یرونها عین الیقین،و یسألون عن النعیم.

و شرفه فی سورة العصر بمدح أمته بثلاث:الإیمان،و العمل الصالح،و إرشاد الخلق إلیه،و هو:التواصی بالحق و الصبر.

و شرفه فی سورة الهمزة بوعید عدوه بثلاثة أشیاء:ألا ینتفع بدنیاه، و یعذبه فی الحطمة،و یغلق علیه.

و شرفه فی سورة الفیل بأن رد کید عدوه بثلاث:بأن جعلهم فی تضلیل،و أرسل علیهم طیرا أبابیل،و جعلهم کعصف مأکول.

و شرفه فی سورة قریش بثلاث:تألف قومه،و إطعامهم،و أمنهم.

و شرفه فی الماعون بذم عدوه بثلاث:الدناءة،و اللؤم فی قوله:

فَذٰلِکَ الَّذِی یَدُعُّ الْیَتِیمَ* وَ لاٰ یَحُضُّ عَلیٰ طَعٰامِ الْمِسْکِینِ [2-3].

و ترک تعظیم الخالق فی قوله: فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ. اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ. اَلَّذِینَ هُمْ یُرٰاؤُنَ [4-6]

.و ترک نفع الخلق فی قوله:

وَ یَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ [6].

فلما شرفه فی هذه السور بهذه الوجوه العظیمة قال: إِنّٰا أَعْطَیْنٰاکَ الْکَوْثَرَ .أی:هذه الفضائل المتکاثرة المذکورة فی هذه السور،التی کل واحدة منها أعظم من ملک الدنیا بحذافیرها،فاشتغل أنت بعبادة ربک، إما بالنفس،و هو قوله: فَصَلِّ لِرَبِّکَ و إما بالمال،و هو قوله وَ انْحَرْ و إما بإرشاد العباد إلی الأصلح،و هو قوله: قُلْ یٰا أَیُّهَا الْکٰافِرُونَ* لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ .الآیات.فثبت أن هذه السورة کالمتممة لما قبلها.

و أما كونها كالأصل لما بعدها فهو:أنه تعالى يأمره بعد هذه أن يكف عن أهل الدنيا جميعا بقوله: قُلْ يٰا أَيُّهَا الْكٰافِرُونَ .إلى آخر السورة.و يبطل أذاهم،و ذلک يقتضى نصرهم على أعدائهم،لأن الطعن على الإنسان فى دينه أشد عليه من الطعن فى نفسه و زوجته،و ذلک مما يجبن عنه كل أحد من الخلق،فإن موسى و هارون أرسلا إلى فرعون واحد فقالا: إِنَّنٰا نَخٰافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنٰا أَوْ أَنْ يَطْغىٰ [20:45].

و محمد صلّى اللّه عليه و سلّم مرسل إلى الخلق جميعا،فكان كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة إليه.فدبر اللّه فى إزالة الخوف الشديد تدبيرا لطيفا،بأن قدم هذه السورة،و أخبر فيها بإعطائه الخير الكثير،و من جملته أيضا:الرئاسة، و مفاتيح الدنيا،فلا يلتفت إلى ما بأيديهم من زهرة الدنيا،و ذلک أدعى إلى مجاهدتهم بالعداوة،و الصدع بالحق،لعدم تطلعه إلى ما بأيديهم.

ثم ذكر بعد سورة الكافرين سورة النصر،فكأنه تعالى يقول:

وعدتک بالخير الكثير،و إتمام أمرک،و أمرتک بإبطال أديانهم،و البراءة من معبوداتهم،فلما امتثلت أمرى أنجزت لک الوعد بالفتح و النصر،و كثرة الاتباع،بدخول الناس فى دين اللّه أفواجا.

و لما تم أمر الدعوة و الشريعة،شرع فى بيان ما يتعلق بأحوال القلب و الباطن.

و ذلک أن الطالب إما أن يكون طلبه مقصورا على الدنيا،فليس له إلا الذل و الخسارة و الهوان،و المصير إلى النار،و هو المراد من سورة تبت.

و إما أن يكون طالبا للآخرة،فأعظم أحواله أن تصير نفسه كالمرآة التى تنتقش فيها صور الموجودات.

و قد ثبت أن طريق الخلق فى معرفة الصانع على وجهين:منهم من قال:أعرف الصانع،ثم أتوسل بمعرفته إلى معرفة مخلوقاته،و هذا هو الطريق الأشرف،و منهم من عكس،و هو طريق الجمهور.

ثم إنه سبحانه ختم كتابه المكرم بتلك الطريقة التى هى أشرف.

فبدأ بذكر صفات اللّه،و شرح جلاله،فى سورة الإخلاص.ثم أتبعه بذكر مراتب مخلوقاته فى الفلق،ثم ختم بذكر مراتب النفس الإنسانية فى الناس،و عند ذلک ختم الكتاب.فسبحان من أرشد القول الى معرفة هذه الأسرار الشريفة فى كتابه المكرم.هذا كلام الإمام.

ثم قال فى سورة الفلق:سمعت بعض العارفين يقول:لما شرح اللّه سبحانه أمر الإلهية فى سورة الإخلاص،ذكر هاتين السورتين عقبها فى شرح مراتب الخلق على ما قال: أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ .

فعالم الأمر كله خيرات محضة،بريئة عن الشرور و الآفات،أما عالم الخلق فهو الأجسام الكثيفة،و الجثمانيات.فلا جرم قال فى المطلع:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ [1-2].

ثم الأجسام إما أبدية،و كلها خيرات محضة،لأنها بريئة عن الاختلافات و الفطور،على ما قال: مٰا تَرىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرىٰ مِنْ فُطُورٍ [67:3]

.و إما عنصرية،و هى إما جمادات،فهى خالية عن جميع القوى النفسانية،فالظلمات فيها خالصة،و الأنوار عنها زائلة،و هو المراد من قوله: وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ [113:3]

.و إما نبات،و القوة العادلة هى التى تزيد فى الطول و العمق معا،فهذه القوة النباتية كأنها تنفث فى العقدة.و إما حيوان،و هو محل القوى التى تمنع الروح الانسانية عن الانصباب إلى عالم الغيب،و الاشتغال بقدس جلال اللّه،و هو المراد بقوله: وَ مِنْ شَرِّ حٰاسِدٍ إِذٰا حَسَدَ .

ثم إنه لم يبق من السفليات بعد هذه المرتبة سوى النفس الإنسانية، و هى المستفيدة،فلا يكون مستفادا منها،فلا جرم قطع هذه السورة، و ذكر بعدها فى سورة الناس مراتب و درجات النفس الإنسانية.انتهى.

و لم يبين المراتب المشار اليها.و قد بينها ابن الزملكانى فى أسراره فقال:

إضافة(رب)إلى(الناس)تؤذن بأن المراد بالناس:الأطفال، لأن الرب من:ربّه يربّه،و هم إلى التربية أحوج.و إضافة(ملک)إلى (الناس).تؤذن بإرادة الشباب به،إذ لفظ(ملک)يؤذن بالسياسة و العزة،و الشبان إليها أحوج.و إضافة(إله)إلى(الناس)تؤذن بأن المراد به الشيوخ،لأن ذاته مستحقة للطاعة و العبادة،و هم أقرب.

و قوله: يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النّاسِ يؤذن بأن المراد بالناس:العلماء و العباد،لأن الوسوسة غالبا عن الشّر به.و قوله: مِنَ الْجِنَّةِ وَ النّاسِ يؤذن بأن المراد بالناس:الأشرار.و هم شياطين الإنس الذين يوسوسون لهم.و اللّه أعلم.

تم بحمده تعالى و توفيقه قال مؤلفه نفعنا اللّه ببركاته،و أمدنا من نفحاته:فرغت من تأليفه يوم الأحد،الثالث عشر من شعبان سنة ثلاث و ثمانين و ثمانمائة.و لا حول و لا قوة إلا باللّه العلى العظيم،و حسبنا اللّه و نعيم الوكيل.

الفهرس

الصورة

ص: 181

الصورة

ص: 182

الصورة

ص: 183

الصورة

ص: 184

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مرکز
القائمیه
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹